المشجّر من غريب اللغة

« عرض وتحليل وتطبيق »

الطبعة الأولى
1440 هـ
2019 م

اسم الكتاب: المُشجّر من غريب اللغة
التأليف: د/ فراس عبد الرزاق السودانيّ
موضوع الكتاب: لغة
عدد الصفحات: 200 صفحات
عدد الملازم: 12.5 ملزمة
مقاس الكتاب: 14x20
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2018/22632
الترقيم الدولي: 0 - 721 - 278 - 977 - 978





دار البشير للثقافة والعلوم

elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com
01152806533 - 01012355714



دراسات في علوم العربية (١)

المُشجّر من غريب اللغة

«عرض وتحليل وتطبيق»

تأليف

فراس عبد الرزاق السودانيّ

تقديم

الدكتور الشريف عداب محمود الحَمَش



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ وكفى، وسلامٌ على عبادِهِ الذين اصطفَى..

إلى مُعلّمِي الأوّل.. والدي

نسمة عرفان تمسحُ عن جبينك بعضَ تعب السنين،

علّها تكون جديرة بذلك!

فراس

تقديم
شيخنا الشريف الحَمْش

الحمد لله الذي اختار العربية وعاءً لقرآنه العظيم، وامتدح كتابه الخالد بقوله: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[(١)] وجعل هذا القرآن العظيم مفخرةً للعرب، ورَفْعاً لشأنهم ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۞ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[(٢)].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد العربيِّ الهاشمي المصطفى، الذي بلّغ رسالة ربِّه تعالى أتمَّ بلاغ، وكان في تبليغه القوليّ والفعليّ، كما قال ربُّه تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٣)].

أما بعد..

فقد أحسن بي ربّي إذ وجَّهني إلى طلب العلم طفلاً صغيراً، وفتح لي بعضَ مغاليقه شاباً وكهلاً وشيخاً كبيرًا. ومن العلوم التي حبَّبها الله إليَّ، وأكرمني بمعرفتها، علومُ اللغة العربية. كنتُ حريصاً على تنمية حُبِّ العربية في نفوس أبنائي طلبة العلم، وحثِّهم على التعرُّف الواعي إلى علومها، وكنتُ أفرِضُ على المقرَّبين منهم اقتناء أمثال: «عُيون الأخبار» لابن قتيبة، و«غريب

(١) الزُّمر: ٢٨.

(٢) الزُّخرف: ٤٤.

(٣) الأحزاب: ٢١.

الحديث» للخطابيّ، و«الأمالي» وذيله لأبي عليٍّ القاليّ، و«الأمالي الشجرية»، و«الكامل في الأدب» للمبرّد، و«المُزْهِر» للسيوطيّ.

كنتُ أنصحُ نفسي وأنصحُ إليهم بمداومة قراءة هذه الكتب، وما يدور في فلكها حتى ترِقَّ طباعُهم، وتتوسّع مداركهم، وتتنامى أذواقهم، وتسمو أفكارهم؛ فيحسنوا فهم القرآن العظيم، وتذوّق بيانه الرفيع.

ولقد قرأتُ «المزهر» للإمام السيوطي مرّاتٍ، وكانت إحدى نُسخه مشحونةً بتعليقاتي عليه، من تعريفٍ بأعلامه، وتوثيق للعديد من الكتب المذكورة فيه، وشرح كثير من مُستغرباته. ولقد حَزِنتُ كثيراً لفقدان هذه النسخة من مكتبتي في الحجاز.

وأخي الحبيب الدكتور المهندس فراس عبد الرزاق الكِنْديّ السودانيّ البغداديّ من تلامذتي الذين أؤمّل بهم خيراً كثيراً، وأرجو أن يَكتُبَ الله تعالى على أيديهم خدمةَ كتابه العظيم، وسنة نبيه المشرَّفة، ولغة العرب المجيدة.

ويوم كان مُنتسباً إلى كلية الآداب بجامعة بغداد/ قسم اللغة العربية، جاء يُشاورني في كتابة بحثٍ لغويّ، فقلتُ له فيما أذكر: «عندَكَ المُزْهِر للسيوطيّ، تستطيع أن تكتب تحت كلِّ عنوان فيه عدّة أبحاث».

ثم قلتُ له: «سأختار لك بحثاً غريباً صعباً، لكنَّه حبيب، وأنت أهلٌ لإنجازه بعون الله تعالى!»، وشرع فراس في الكتابة.

وما هي إلا مدّة وجيزة حتى جاءني بمسودة البحث على صورةٍ أقرب ما تكون إلى الاكتمال! فقرأته، ولفتُّ نظره الكريم إلى بعض الملاحظات فيه، أعطاه بعدها صورته النهائية.

والدكتورُ فراس مهندس بارعٌ من أوائل المهندسين المُتقنين في العراق الحبيب.

وهو إلى ذلك مُقرئٌ متميّز، ومُحدِّثٌ ناقد، ومُفكِّرٌ واعٍ، وشاعرٌ مُجيد.

وكم كنت أتمنى أن يُشاركني العمل في مشروعي «تنقية كُتب الحديث من الضعيف والمعلول»، لولا أنْ فَتَنَتْه الهندسة عن التفرّغ لِخدمة العلوم الشرعية.

واليومَ، وهو ينوي طباعة بحثه المشجّر هذا، طلب إليَّ أن أُعاودَ قراءته، وأن أُقدّم له بصفته أوّل مُنجزاته في فقه اللغة العربية، وأرجو ألا يكون آخرَها.

وقد قرأتُ البحث قراءةَ مُستفيد، فأفدتُ منه كثيراً، وتداعت الأفكار إلى مُخيلتي، فجمحَ إلى سَطْح فكري ما كُنْتُ نويته من كتابة بحث مطوّل على كلّ عنوان من عناوين «المزهر»، فضحكَتْ مِني أمانيَّ الشَرود، إذ لم أكتب أيّ بحثٍ من بحوثه، ووقفتُ عُمري على خدمة السنة الشريفة، فكان جزائي من قومي جزاء سنمّار، لكنني على يقين في نفسي بأنّ الله تعالى سيجزيني جزاءً أوفى، والموعد الله!

لقد عرَّفَ الكاتبُ الدكتور فراس بالمشجّر، وتكلّم على تاريخه، وترجم معرفيّاً لأشهر المصنفين فيه، وأبرزِ كُتبه، وصلته بعلوم العربية الأخرى، وخاصة العلوم المُتَّصلة بمتن اللغة وفقهها وأسرار العربية الحبيبة!

وقد أفادَ الرجلُ كثيراً من مَعرفته الحديثية (روايةً ودراية) في تكميل جوانب البحث التاريخيّة والفقهيّة اللغويّة، كما يظهر ذلك من تراجمه لأئمة المشجر، ودراسته لمناهجهم في تصانيفهم المتصلة بالمشجر، وغير ذلك من المباحث التكميلية التي تبدو أصيلةً في أبوابها.

وإنك لتستغرب -أخي القارئ!- غاية الاستغراب، حين تقرأ تنقيدات فراس اللغويّة والفقهيّة البارعة، إذا ما علمت أنَّ بحثه هذا هو باكورة أبحاثه في هذا العلم العويص.

وقد كنت أرغب أن أكتب شيئاً عن منهج مدرستنا التكامليّ، وأبرزِ ملامحه «تربية العقل الناقد»، وأن أوضّح للقارئ الكريم أنّ من يُتقن منهج «النقد الحديثيّ» يستطيع أن يسلك في جميع فروع المعرفة العلمية عامةً، والعلوم الشرعية خاصّة، بعقلية الواثق، وهو مُستند إلى ركيزة متينة من العقل الناقد والنقل الجائز في ميزان النقد الحديثيّ، لولا ضيق الوقت والتزامي بمشاريع علمية كثيرة.. وربما سنحت لي فرصة أخرى لتفصيل القول في ذلك قريباً بمشيئة الله وتوفيقه!

وأنا لن أُضيف في تقدمتي هذه جديداً أكثر من دعوة أحبّاء العربية إلى قراءة ما كتبَ فراس، وحثِّهم على تناول موضوعات «المزهر» بالشرح والبسط والتطوير، فالأمة في حاجة ماسّة إلى تذوّقِ العربية، وحُبّ العربية، وخِدمة العربية، وعاء القرآن الكريم.. والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله ربّ العالمين.

عمّان الأردنّ – ٥ نوفمبر ٢٠٠٩م

وكتب الفقير إلى الله تعالى

عَداب بن الشريف محمود الحَمْش

بين يدي الكتاب

رُبما كان موضوعُ كتابنا هذا عن المُشجَّر -بنظر البعض- بعيداً عن روح العصر، خارجاً عن سياق النصّ اللغويّ والأدبيّ فيه، فالمشجّرُ أمسَى من الماضي اللغويّ والتاريخ الأدبيّ اليوم. وهو -في أحسن الأحوال- لا يعدو أن يكون محاضرةً تُلقى على مسامع طلبة الدراسات الأولية في كليات الآداب، وربما تناوله طالبٌ من طلبة الدراسات العليا ببحثٍ جامعي مآله رفوف المكتبة المركزية في الجامعة.

ورغم أنّ بعض صور المشجّر -كما سيأتي بعدُ- تقترب من الفنون الأدبيّة التي تهدف إلى الإبداع والإمتاع، فضلاً عن الوظيفة التعليمية التي لا تنفكُّ عن أيّ فنّ من الفنون الأدبية؛ إلا أنَّ البحث في المشجَّر له أبعاد لغوية خطيرة، وثيقة الصلة بحياتنا الأدبية المعاصرة وحاجتنا اللغوية المتجدِّدة.

إنَّ فائدة المُشجَّرات العُظمى في حياتنا العلمية المعاصرة هي ما تزخرُ به تلك المعاجم من مُفردات موثَّقة توثيقاً روائياً (على سَنَن أهل الحديث والرواية في النقل) من جهة، وما تحفل به من شواهد شعريّة (ومعظمها من عصور الاستشهاد)، من جهة ثانية. وهو ما يُرشّحها لتبوُّءِ مكانة عالية في مصادر المعجم العربيّ الأمل الذي لا بُدّ أن يولد يوماً ما، بالتغلّب على عيوب المعاجم العربية القديمة التي من أهمها، وفي بعض الكلام تغليب:إغفال التمييز بين صحيح اللغة وضعيفها بالترجيح بين الروايات اللغوية الواردة

تحت المدخل اللغويّ الواحد، والاستدلال على المعنى بالشواهد، وتتبع التطور الدلاليّ، والتنقير عن الفروق اللغوية.. وغير ذلك.

وأكثر من ذلك، فمُلاءمة المشجّرِ التعريف بمصطلحات فنّ من الفنون مع بيان تناسب تلك المصطلحات، ليحصل من ذلك تعريفٌ إضافي بالرابطة التي تنتظم بها تلك المصطلحات.

وما وراءَ ذلك.. فالحاجةُ إلى المشجّر كالحاجة إلى المنظومات التعليمية التي لا زالت ملاذاً لبعض المتصدِّين للعملية التربوية -في شتّى فروع العلم- في تيسير الحفظ واستحضار المادة العلمية بقالب فني مُختار![1]

وقد جعلتُ الكتاب في مقدّمةٍ وخمسة فصول. فأما المقدمة، فهي ما تقرأ هنا بين يدي مباحث الكتاب. وأما الفصول الخمسة، فالأول منها تضمّن المباحث التمهيدية التي أردتها توطئة للمباحث الرئيسة في الدراسة، بتمهيد عام وتعريف بالمشجّر وهل هو علم أو فنّ؟ ثم باستعراض الجهود السابقة على هذه الدراسة في التعريف بالمشجّر ودراسته.

والفصل الثانـي جُعِل للتعريف بالمشجّرات ومصنفيها. فأما التعريف بأئمة المشجّر، فكان بتقديم ترجمة مَعرفية-مَنقبية مختصرة لهم مع بعض

(١) قال الكاتب المغربيّ الأستاذ عباس أرحيلة في معرض حديثه عن المشجرات: «فالقارئ لهذا النـزع من المعاجم يتتبَّع سلسلة متداخلة من الألفاظ يجمع بينها معنى مشترك، يتنقل داخل المعجم العربي بدون سأم، وهو يجني المعاني الدقيقة قابضاً على الخيط الرابط بينها. وهذا المنحى في التأليف المعجمي يقوّي التفقُّه في العربية بإدراك خصائص العربية، وخصوبة ألفاظها ودقة معانيها». يُنظر مقاله: «معجم المعاني: نماذج من التراث العربي» باتّباع هذا الرابط: http://takhatub.ahlamontada.com/t1606-topic

اللمحات النقدية[1] التي يقتضيها الحال، فمعرفةُ المصنِّف ومعرفة مكانته بين أقرانه من العلماء، وأثره في وسطه العلمي = معرفةٌ لجوانب مُهمة في تقويم الكتاب.

وأما التعريف بالمشجّرات الثلاثة المعروفة، فقد اخترتُ أن يكون التعريف بها في موضعين: الأول في الفصل الثاني من هذا الكتاب بعد التعريف بأئمة المشجّر، والموضع الثاني في الفصل الثالث منه كما سيأتي. فأما الموضع الأول، فقد خصّصته لنقل نموذج من كلّ مشجّر من المشجرات المعروفة، فالاطّلاع على وحدة موضوعية كاملة من أيّ كتاب يُعطي تصوراً لا بأس به عن بِنية الكتاب وهيكله. والموضع الثانـي جعلته في الفصل الثالث الذي خُصّص لدراسة مناهج المصنِّفين في المشجّر، فمعرفة مناهج المصنِّفين ضرورية لتقريب مادَّة تلك المصنفات للقارئ، ووقوفه على مواطن الإحسان والخلل فيها على السواء. وهي مع ترجمة المصنِّف وفهارس الكتاب توفِّر الإحاطة بالمصنَّف، إحاطة تكاد تكون تامّة، تبعاً لدقَّة نتائج دراسة المنهج.

والفصل الرابع من الكتاب دارَ حول صِلة المشجّر بعلوم اللغة وفنونها، فمعرفةُ خصائص أيّ علم وصلته بالعلوم القريبة منه ومعرفة أثره في تلك العلوم وتأثّره بها؛ تُحدِّد مكانته بين العلوم والوقوف على خطره الحقيقي في الحياة اللغوية للأمة، وهو ما سيَخرجُ بالبحث في المشجّر من التوثيق التاريخيّ البحت إلى الدرس الفقهيّ الواعي.

---

(١) يُنظر في أنواع التراجم العلميّة التاريخية والحديثية تأصيلُ أستاذنا الدكتور عداب محمود الحَمْش في كتابه: «محاضرات في تخريج الحديث الشريف ونقده»، ص٦٣- ٧٦ من الطبعة الثالثة.

وختاماً، فقد جُرِّد الفصل الخامس من الكتاب لتقديم تطبيقات على المشجّر من خارج الكُتب المختصّة به، وفيه وجادات ثمينة ستُرسّخ لدى القارئ القناعة بأهميته ومُلابسة بعض صيغه لعلوم وفنون لغويّة شتّى. لِيُختم بتطبيق من صُنع كاتب هذه السطور حاكىً به صنيعَ أبي الطيب اللغوي؛ لأنّه مجوّد المشجّر برأيي، وصنيعه أنفع الصنيع من بين أصحاب المشجرات المعروفة. إلا أنَّني ابتغيت في هذا التطبيق سبيل الاختصار، كي لا يخرُج التطبيق عن هدفه التمثيلي إلى تطويلٍ لا طائل تحته.

وعلى هامش منهجي في الكتاب، أجد من النافع بيان بعض اللمحات التي تتَّصل بفهرسة الكتاب وصناعة الأثبات فيه والتعريف بالأعلام الواردين فيه والتعريف بالعلوم التي تعرّضنا لصلتها بالمُشجّر، وكما يأتي:

أولاً: اكتفيتُ في هذا الكتاب بثَبَتين اثنين، الأوّل ثبت بمواضيع الكتاب، والثاني ثبت بمصادر الكتاب. وقد جعلت الثبت الأوّل مفصّلاً سابقاً على فصول الكتاب ومباحثه؛ لأنّ الفهرست بابُ الكتاب ومدخله، وحقّه عندي التقديم. والتفصيل يُلائم وظيفته ويزيد في نفعه.

ثانياً: ترجمتُ للأعلام الوارد ذكرهم في مباحث الكتاب ترجمة مُختصرة، وبعضهم نابهُ الذكر، أشهر من أن يُعرّف. لكنّني التزمت بتعريف الجميع تقريباً؛ لأنّ المعرفة نسبيّة، فما أعرفه أنا قد يجهله غيري، والعكس صحيح أيضا. كما أنّ في الترجمة العلميّة زيادة معرفة وتذكير. وقد اقتصرتُ على ذكر مصدر واحد من مصادر الترجمة غالباً؛ لأنّ ذلك متّسق مع قصد الاختصار، سوى تفصيل القول في مصادر ترجمة المُصنّفين في المُشجّر، فهم وكتبهم عُمَد البحث ومداره.

ثالثاً: عرّفتُ مُختصراً جدّاً بالعلوم اللغويّة التي درستُ صلة المُشجّر بها في الفصل الرابع هنا، رغم أنّ الكتاب للمختصّين باللغة (وهم عن إعادة التعريف في غنى)؛ ذلك أنَّ التعريفَ مدخل جيّد لتحسّس مواطن التقارب والتباين بينها وبين المُشجّر، وبيان ما يجمعها من صلة.

وبعد..

فأصلُ هذا الكتاب بحثٌ أعدَدتُّه بمشورة شيخي وأستاذي الدكتور الشريف عداب بن محمود الحُسينيّ الحَمْش الحَمَويّ -عافاه الله!- وتحت إشرافه وفي مكتبته ببغداد السلام سنة ١٩٩٩م. ثمّ أعدتُّ إرسال تجارب الكتاب بعد تنضيدها إليه في عمّان - الأردنّ بعد سنوات من هذا التاريخ؛ فراجع الكتاب مراجعةً ثانية، أبدى فيها ملاحظاتٍ تقويمية أفدت منها في تكميلِ النصّ، وشرَّفني بكتابة التقديم الذي تجدهُ في صدر الكتاب قبل تقديمي هذا، فله مني أنداء الشكر والعرفان!

وللمترجمة الفاضلة السيدة لِينا فتح الله -عافاها الله تعالى!- شُكري وتقديري لجهودها المباركة في ترجمة مُلخّص الكتاب إلى الإنكليزيّة، سائلاً المولى - عز وجل - أن يُجيرها في صراعها مع المرض ويكتب لها العافية والسلامة ممّا هي فيه!

وكنتُ قد عرضتُ تجاربَ الكتاب الأولى على الفصيح الناصح أخي وزميلي السيد حُذيفة كاظم الجواديّ؛ لمراجعتها وتصحيحها، فتكرَّم بقراءتها مرَّتين رغم ضيق وقته وتزاحم مشاغله، أبدى فيهما بعض الملاحظات، فجزاه الله عنِّي خيرا!

وإن أنسَ لا أنس أخي الدكتور أيمن عيسى أحمد المُعيد بدار العلوم بجامعة القاهرة العامرة -حرسها الله!-، أن أُقدّم بين يديه ما يستحقّ من الشُّكر؛ لتجشّمه عناء تصوير ترجمة الأستاذ الدرعميّ محمّد عبد الجوّاد، مُحقّق المشجّرات الثلاثة المعروفة، من «تقويم دار العلوم» بجزئه الأول ص٩٠٩-٩٢١، فله مِن أخيه جزيلُ الشّكر وطيّب الثناء والذّكر.

واليومَ وأنا أُعيد مراجعة الكتاب وأُعدّه للنشر بعد ثمانية عشر عاماً من الانتظار، تيسّر لي جمع مادّة جديدة ووقفت على وجادات ثمينة، حَدَتْ بي لإعادة صياغة بعض مباحثه، دون المساس بهيكل الكتاب وترتيب مباحثه الرئيسة، سوى توسيع الفصل الخامس من خاتمة بتطبيق على المُشجّر من صُنع مؤلّف هذا الكتاب، إلى ما وصفت لك توّاً من تطبيقات على المُشجّر من خارج الكتب المختصّة به.

ولا بُدّ هنا من تقديم ما يجبُ من آيات الشكر والثناء للأعزّاء في **دار البشير للثقافة والعلوم**، فقد كان لقبولهم نشر الكتاب الأثر الأكبر في انبعاثي لُمراجعة الكتاب وإعداده للنشر بعد أن ظلَّ رَهين الرفوف ومَهبط الغُبار لسنين طويلة، فجزاهم الله عنّي خير الجزاء!

وإنّي لأرجو أن يوضع للكتاب القبول ويُكتب له بين الناس الرِّضا، وأن يكون جديراً باهتمام أهل الاختصاص وقراءتهم ودرسهم ونقدهم، بما حوى من مباحث تاريخيّة ولغويّة بُنيت على أساس القراءة والتحليل والموازنة.

وأتمنّى عليهم جميعاً -إن وجدوه أهلاً للنظر- أن يُتْحِفوني بتعليقاتهم النقديّة وملاحظاتهم التقويميّة بإرسالها إلى بريدي الإلكتروني أو عبر صفحتي على الفيسبُك المثبتين في ذيل هذه الصفحة[1]، فلا ينبغي الكمال لجُهد بَشر.. والله تعالى ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

بغداد - السلام - ١١ يونيو ٢٠١٨م

المؤلف

(١) لمراسلة المؤلّف حول مضامين الكتاب ومادّته، تُطلب العناوين الآتية:

e-mail address: assoodani@yahoo.com – assoodani@gmail.com
Facebook page: https://www.facebook.com/firas.assoodani

المشجّر من غريب اللغة

« عرض وتحليل وتطبيق »

ثبت تفصيلي بموضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
ثالثاً: منهج ابن الأشتركونيّ في كتابه «المسلسل»: تحقيق عنوان الكتاب. طبعات الكتاب ومحقّقوه. النسخ المعتمدة في التحقيق. وصف بنية الكتاب. ابن الأشتركونيّ يبيّن غاية تصنيف كتابه ومنهجه فيه. وقفات مع المصنِّف. ابن الأشتركونيّ لم يطّلع على مشجّر أبي الطيّب اللغويّ (ظنّ). أول شواهد الكتاب الشعرية وآخرها. «المسلسل» غزير بالشواهد الشعرية. ابن الأشتركونيّ أخطأ في نسبة بعض الشواهد الشعرية إلى قائليها.	١٢٧ – ١٣٠
الموازنة بين المشجرات الثلاثة: الأستاذ عبد الجواد يوازن بين المشجرات المعروفة. تعقيب على رأي عبد الجواد حول الموازنة بين المشجرات الثلاثة من حيث غرابة الألفاظ. الأستاذ عبد الجواد حصر الموازنة بين المشجّرات في أصالة الألفاظ وفاتته أوجه الموازنة الأخرى. الموازنة بين المشجرات الثلاثة. الفائدة من كتاب أبي الطيّب اللغوي وتميّز صنيعه من أوجه. ميزة «مُسلسل» ابن الأشتركونيّ. تكرار نشر «شجر الدّرّ» لخمس مرات ودلالة ذلك. المشجّر تطبيق رائع للظواهر اللغويّة. ملاحِظ فنيَّة على صنيع أئمة المشجرات فيها مما يدخل في باب التجوّز في الصنيع.	١٣١ – ١٣٦
الفصل الرابع: صلة المشجَّر بعلوم اللغة وفنونها	١٣٧

الموضوع	الصفحة
المشجّر بين متن اللغة وفقهها: كثرة علوم العربية وفنونها. السيوطي يحصي سبعة وأربعين علماً وفناً في العربية. تداخل تلك العلوم والفنون فيما بينها واختلافها. معرفة خصائص كلّ علم وصلته بالعلوم الشقيقة له تفيد في التعرف على أثره في تلك العلوم وأثرها فيه. غاية المشجّر الحفاظ على مفردات اللغة وتيسير حفظها للعامة والتنويه ببعض الظواهر اللغوية بقالب مبتكر. المشجّر وثيق الصلة بمتن اللغة (المعاجم خاصّة). من مزايا المشجّر . غاية الفصل الرابع. الصلة بين المقامات والمشجّر وسبب حذف المطلب الذي كُتب تحت هذا العنوان من المسودة النهائية للكتاب.	١٣٩ – ١٤٠
المشجر والمعاجم اللغوية: المشجّر من ضروب المعاجم. المشجر من معاجم المعاني أو معاجم الموضوعات. المشجّر صياغة معجمية للمفردات اللغوية. المسالك التي سلكها علماء العربية في جمع اللغة. المسلك الأول: جمع المفردات وتصنيفها بالنظر إلى معانيها. المسلك الثاني: جمع المفردات بالنظر إلى ألفاظها. من عيوب معاجم المعاني. غاية معاجم المعاني. من ثغرات التصنيف المعجمي العربي. فوائد معاجم المشجّر.	١٤١ – ١٤٣

الموضوع	الصفحة
	١٦٨ - ١٦٩



الفصل الأول

المباحث التمهيدية

الفصل الأول: المباحث التمهيدية

تمهيد:

ليس من الشَّطَط أن توصَف اللغةُ -أيّ لغة- بأنها كائن حي! فجميع اللغات تمرُّ بمراحل نموّ وأطوار تشكُّل، تخضع فيها لمثل ما يخضع له الكائن الحيّ في أطوار نشأته ونموه وتطوره. فاللغة كأية ظاهرة اجتماعية عُرضة للتطوّر في عناصرها جميعاً: أصواتها، ودلالاتها، وتراكيبها.

واللغات تتباين في نموها وتطورها تباينَ الحيوان في ذلك، فمنها ما يحمل أسباب تجدّده -فضلاً عن بقائه- في أصل خِلقته، فتراها تتجدَّد بتوالي الأيام وكرِّ الدهور، بل تثرى وتنضج!

ومنها ما يضمحل ويندثر؛ لنقص في أصل خلقتها، وقصور في مواكبتها. وليس بدْعاً إعلانُ منظمة اليونسكو أنَّ نصف لُغات العالم التي تزيد على ستة آلاف لَغة حالياً مُهدَّدٌ بالانقراض بحلول العام ٢٠٥٠م[١]!!

---

(١) ورد ذلك في أطلس منظمة اليُونسكو للغات المُهدَّدة بالانقراض (UNESCO Atlas of the World's Languages in Danger)، وقد بيّن التقرير أيضاً أن عدد اللغات المهددة بالانقراض حالياً هو (٢,٥٠٠) لغة وقسمها إلى خمسة مستويات من التهديد، أدناها المُنقرضة. كما بيّن أن (١٩٩) لغة يستخدمها اليوم أقل من عشرة أشخاص، و(١٧٨) لغة يستخدمها بين عشرة أشخاص إلى خمسين شخصاً. ومن أهم المؤشرات الإحصائية التي قدّمها التقرير أن ٩٠٪ من سُكان العالم يستخدمون (١١) لغة فقط، فتأمَّل! يُنظر في ذلك:

- ar.wikipedia.org/wiki/لغة_بائدة
- UNESCO Ad Hoc Expert Group on Endangered Languages: «Language Vitality and Endangerment», a document submitted to the International Expert Meeting on UNESCO Programme Safeguarding of Endangered Languages, Paris, 10–12 March 2003, pp. 27.
- Moseley, C. (Editor): «Encyclopedia of the World's Endangered Languages», Routledge, Taylor & Francis Group, London and New York, 1st published, 2007, pp. 688.

غير أن اللغات، كلَّ اللغات، لا بُدَّ تُعاني اندثار مفردات أصلية فيها، ودخول أخرى عليها، خاصَّةً عندما تتوفَّر الظروف العاضدة لذلك، وعلى رأس تلك الظروف تواصل الأُمم وانفتاح بعضها على بعض، كما هو الحال في عصرنا الحاضر، «عصر العولمة» الذي أصبح العالم به «قرية عالمية»..

لكنَّ العربية، لها خصوصيةٌ وشأنٌ آخر، فهي لُغة القرآن ووعاؤه.. القرآن الذي وفَّر لها أسباب البقاء والحفظ، إذ تعهّد مُنزله -تبارك وتعالى!- بحفظه، فحُفظت به وله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]..

فحَفِظَ أصواتها بتعهّد حُفَّاظه الذين نقلوه شِفاهاً كما أُنزِل!

وحَفِظ قَدْراً هائلاً من مفرداتها الفصيحة.. بل وأثرى تلك المفردات بطريقين: الأوّل بالأوجه التي حفظها علم القراءات القرآنية، والثاني باستعماله لجمع غفير من المفردات الأعجمية الأصل[٢].

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) صَنّف الأئمّة قديماً وحديثاً في المفردات الأعجميّة الواردة في القرآن العظيم، على خلاف بينهم في إثبات ورودها فيه، ومن ذلك كتاب الإمام السيوطيّ «المهذّب فيما وقع في القرآن من المُعرَّب» الذي طُبع بتحقيق الدكتور التهاميّ الراجيّ الهاشميّ تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلاميّ بين حكومة المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، بدون تاريخ، في ٢٨٣ صفحة.

وللإمام السيوطي كتاب آخر مُختصر بعنوان «المتوكّلي فيما في القرآن من اللغات الأعجمية»، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه ونشره وليم بَل (William Bell)، برسالته المُقدّمة إلى كلية الدراسات العليا في جامعة ييل (Yale University)، كجزء من مُتطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة، سنة ١٩٢٤، وجاء في ٨٠ صفحة.

وحَفِظ المثال على التطبيق الأسمى في البلاغة والبيان، التطبيق الذي يحلم به علماء اللغة وأساطينها لتوثيق اللغة وتقعيدها.

وأكثر من ذلك؛ فحَفِظَ سليقة العرب كما لم يستطع أحدٌ حِفظها أو حفظ غيرها من سلائق أهل اللُّغات قديمةً وحديثة. فالتلوين البياني الذي يزخر به القرآن العظيم، وعرضه للقَصص من زوايا مُختلفة، وتهيئة السامع برسم الجوّ العام للقصص، وجوانب عمود الصورة فيه..كلُّ ذلك يؤسّس لسليقةٍ عربيّة سليمة، سليقة ما زال العامّة في البلاد العربيّة يتوارثون أكثرها، فيما نزعم.

لذا.. فلا يكاد يوجد في العربيّة لفظٌ مُمات، سوى بعض الألفاظ التي تدلّ على مواضع اندثرت وأمست أثراً بعد عين[1].

ولقد كانَ من أسباب حفظ العربية تعاهُدُ طبقة من علماء الأمة هذه اللغة في وقت مبكر، يومَ أحسُّوا بالخطر الداهم الذي شكَّله دخول الموالي في

(١) خيرُ عاضد لما ادّعينا هنا تغيّر مفردات إنجليزية كثيرة تغيراً كبيراً في المبنى والصياغة اللفظية، فمثلاً هناك مثل يرقى إلى القرن الرابع عشر للميلاد (يبدأ بالعام ١٣٠١ وينتهي بنهاية العام ١٤٠٠م) نصّه باللغة القديمة: «Many hondys makyn lyght worke» وصيغته الحالية (أي بعد ستة قرون ونصف فقط): «Many hands make light work» ومعناه بالعربية: «كثرةُ الأيدي تخفّف من عبء العمل»، فتأمَّل!

تُنظر أمثلة كثيرة على ذلك في «مصابيح التجربة»، وهو بحث جليل القدر ملحق بـ«قاموس المورد» للأستاذ منير البعلبكيّ، رحمه الله تعالى!

وقد ورد في ممهدات «المورد» ذاته بين المختصرات العربية مختصر: (ا.م.) ويعني استعمال مُمات، ومختصر: (ا.ن.) ويعني استعمال نادر، ولا يختصر مصطلح في معجم إلا إذا كثُر استخدامه فيه، طلباً للتخفيف.

المجتمع العربيّ الإسلاميّ واندماجهم به على اختلاف لُغاتهم وتباين لهجاتهم وتعدّد سلائقهم، وضرورة أن يتواصلوا بلغة المجتمع الذي وفدوا عليه.

ولقد تمثَّل ذلك التعاهد بحفظ كلّ ما اتصل بالعرب والعربية من أخبار وأياموأشعار وخُطب، وبكلمة أشمل.. حفظ تراثهم اللغويّ وإرثهم الحضاريّ.

ومن ذلك أيضاً: جمع المفردات العربية، أو ما يُسمى في الاصطلاح: جمع الغريب والوحشي من المفردات في معاجم الألفاظ، أو ما يُعرف بـ«الكتب المُجنَّسة»، وفي معاجم المعاني، أو ما يُعرف بـ«الكتب المُبوَّبة».

وقد تفنَّن العلماء في التصنيف جمعاً وترتيباً وتبويباً، ثمّ تعدَّت هِمَمُهم إلى تقريب المادة المجموعة تلك للعامّة «والتحايُل على دراستها بطريق لا تورث الملل والسآمة»، ومن هنا ابتُكِر «فنٌّ جديد من التأليف، عمَدَ إليه بعض اللغويين -على ما سيأتي بعدُ- لنظم المفردات في سُمُوطٍ عجيبة، يربطُ بين حبّاتها وشائجُ من المعاني اللطيفة، تحمل القارئ على أن ينتقل من لفظةٍ إلى أُخرى على خيط دقيق من المعنى المشترك بينهما...»[1].

ذلك «الفنّ» الطريف هو ما دَعَوْهُ بـ «المُداخَلُ» أو «المتداخل» أو «المسلسل» أو «المشجَّرُ».

(١) مُقدّمة تحقيق كتاب أبي الطيّب اللغويّ «شجر الدرّفي تداخل الكلام بالمعاني المختلفة»، للأستاذ محمد عبد الجواد، ص١٧.

المشجَّر.. ما هو؟

المُشَجَّرُ: إطلاقٌ استخدمه الإمام السيوطيّ[1] في ترجمته لهذا الفنّ في كتابه «المُزهِر في علوم اللغة وأنواعها»، في الباب الحادي والثلاثين منه: «معرفةُ المُشجَّر»[2]. ويبدو أنّه من اشتقاق السيوطي نفسه؛ لأن المعروف من كُتب هذا الفنّ لا يحمل أيٌّ منها هذا الاسم ولا ورد فيه ذكرٌ له، إلا تسمية أبي الطيّب اللغويّ لكتابه في هذا الفَنّ: «شجر الدرّ».

والراجحُ عندي أنَّ السيوطي اشتقَّه من عنوان كتاب أبي الطيّب اللغوي، لما رآه من مُناسبته لبناء هذا الفنّ.

وقد اخترتُ اسم «المشجّر» ليكون عنواناً على كتابي هذا، لأمورٍ: منها دلالته القوية على المعنى، ولما في لفظه من جرس وموسيقى، لا يحمله لفظ «المُداخل» أو «المتداخل» أو «المسلسل».

والمشجَّرُ لُغةً: اسم مفعول من (شجَّرَ) المتعدّي، فتقول: شجَّرَ، يُشجِّرُ، تشجيراً؛ فهو مُشَجِّرٌ، والمفعول منه: مُشَجَّرٌ.

---

(١) السيوطيّ (٨٤٩-٩١١هـ): جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر الخضريّ الأسيوطيّ والسيوطيّ. إمام، حافظ، مؤرخ، أديب، له نحوُ ٦٠٠ مصنَّف، منها: «الإتقان في علوم القرآن»، و«همع الهوامع» وغيرهما. ترجمته في «حُسن المحاضرة» له ٢/ ١٤٠، و«الأعلام» للزِّرِكْلي ٤/ ٧١-٧٣.

(٢) «المُزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها» للإمام السيوطيّ، ١/ ٤٥٤-٤٥٩.

وأصله (شَجَرَ) من باب نصَر، بمعنى: اختلفَ. قال العلامة الرازيّ في مُختار الصّحاح: «شجر بين القوم، أي: اختلف الأمر بينهم».

وقال جار الله الزمخشريّ في أساس البلاغة: «واشتجر القوم وتشاجروا: اختلفوا».

وقال الفيروز آباديّ في القاموس: «والمشجَّر: ما كان على صنعة الشَّجر»[1]، يعني: على هيئتها.

وفي لسان العرب: «والمشجَّر من التصاوير: ما كان على هيئة الشجر»[2].

أمَّا في الاصطلاح؛ فقد قال الإمام أبو الطيب اللغويّ في مُقدّمة كتابه شجر الدُّر: «وإنَّما سمينا الباب شجرة؛ لاشتِجار بعض كلماته ببعض، أي تداخله. وكلُّ شيء تداخل في بعض؛ فقد تشاجر. فهذا الوجه الذي ذهبنا إليه»[3].

وفي الشِّعر مُشجّر، ويسمى المُطرَّز أيضاً[4].

قال الرافعيُّ: «هو نوع من النظم يُجعل في تفرعه على أمثال الشجرة -وسُمي مشجّراً لاشتجار بعض كلماته ببعض، أي تداخلها، وكل ما

---

(١) تُنظر مادة (شجر) في «القاموس» للفيروزآباديّ و«أساس البلاغة» للزمخشريّ و«مختار الصحاح» للرازيّ.

(٢) «لسان العرب» للعلامة ابن منظور، ٤/ ٣٩٦.

(٣) «شجر الدّرّ»، مصدر سابق، ص٦١-٦٢.

(٤) يُنظر في المشجر من الشعر: الحازميّ، حجاب بن يحيي: «التشجير في الشعر»، مجلة الحرس الوطني السعودية، السنة ٢١، العدد ٢١٨، أغسطس ٢٠٠٠م، ص٨٧-٨٩.

تداخل بعض أجزائه في بعض فقد تشاجر- وذلك أن يُنظم البيت الذي هو جذع القصيدة، ثم يُفَرّع على كلّ كلمة منه تتمة له من نفس القافية التي نُظم بها، وهكذا من جهتيه اليمنى واليسرى، حتى يخرج منه مثلُ الشجرة...، وهو متأخّر عن القرن الحادي عشر...، ويعرف اليوم بالمُطرّز، ولا تحضرنا في ذلك أمثلة جيّدة نرضاها للتمثيل»[١].

قلت: ويلتحق به أنْ يَجعل الشاعر أوائل الحروف في أبياته تشكل اسماً معيناً، كما لو أراد شاعرٌ أن يُشجِّر (أو يُطرّز) باسم «أحمد»، فيعمد لكتابة أربعة أبيات، البيت الأول منها يبدأ بحرف الهمزة، والثاني يبدأ بالحاء، والثالث بالميم، والرابع بالدال. ومنه قولُ الأمير ابن معصوم[٢] مُطرّزاً بـ «خديجة»:

(خِـ)ـلْتُ خَالَ الخَـدِّ فـي وَجْنَتِهِ ... نُقْطَةَ العَنْبَرِ في جَمْرِ الغَـضا

(د)امَت الأفراحُ لي مُذْ أبصرتْ ... مُقْلَتِي صُبْحَ مُحَيّاً قَدْ أضـا

(يـ)ـتمَنَّى القلـبُ مِـنْهُ لَفْـتَةً ... وبهـذا الحـظِّ للعينِ رضـا

(جـ)ـاهلٌ رامَ سُـلُوّاً عَـنه إذْ ... حَظَرَ الوصلَ وأولاني النَّضـا

(هـ)ـامَت العـينُ بِـهِ لمَّـا رأتْ ... حُسْنَ وجهٍ حينَ كُنّا بالأضـا

---

(١) «تاريخ آداب العرب» للأستاذ مصطفى صادق الرافعيّ، ٢/ ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) ابن معصوم (ت ١٠٨٦هـ): هو الأمير نظام الدين، أحمد بن محمد معصوم الحسينيّ، كان عالماً فاضلاً عظيم الشأن جليل القدر، صاحب ديوان شعر ورسائل. وفاته في حيدر أباد دكن. وهو والد السيّد عليّ خان المدنـيّ صاحب «سُلافة العصر»، وقد مدحه فيها. قال الحُرّ العامليّ في «الأمل»: «كان هو بمنزلة صاحب ابن عبّاد في عصره، وكان مرجع العلماء والملوك في عصرنا». مصادر ترجمته: «أمل الآمل» ص٣٢، و«سُلافة العصر» ص١٠.

وعودٌ على مُشجَّر الغريب، سنقدّم في خاتمة هذا الكتاب بعض التطبيقات عليه من غير الكُتُب التي اختصّت به، وفيها وجادات نفيسة.

والخلاصةُ أنَّ المشجّر فنٌّ لغوي نشأ في القرن الرابع الهجري، بُني على ربط الألفاظ؛ لتداخل معانيها، بتنقّلٍ بين الألفاظ يحكمه انتقاء المعانـي. كقولنا في تفسير كلمة عين: رئيس القوم، والرئيس: المُصاب برأسه بعصاً أو غيرها، والرأس: زعيم القبيلة أو سيدها، والزعيم:... إلخ.

والكتب المعروفة في هذا الفنّ ثلاثة، كما سيأتي تفصيله بعدُ، حملت عنوانات مُختلفة، هي: «المُداخل»، و«شَجَرُ الدُّر»، و«المُسلسل»، على الترتيب[1].

المشجَّر.. هل هو علمٌ أو فنّ؟

لا أُريد أن أنزلق هنا لجدلية العِلم والفَنّ؛ فإنَّ الحديث في ذلك طويلُ الذيل، بل ربما لن يصل بنا إلى نتيجة قاطعة، وهو ما لا يُناسب المقام.

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى وجود كتاب بعنوان «المُشجَّر» لابن حبيب البغداديّ (ت ٢٤٥ هـ).
وابن حبيب: هو محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغداديّ، أبو جعفر الهاشميّ، المعروف بابن حبيب. قال عنه ابنُ النديم في فهرسته: «وكان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل، وعَمِل قطعة من أشعار العرب. روى عن ابن الأعرابي وقُطْرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان وغيرهم. وكان مؤدِّباً، وكتبه صحيحة»، وذكر في كتبه: «المُشجَّر» هذا.
قلتُ: ترجم له الدكتور بكر أبو زيد في كتابه «طبقات النسّابين» بالتسلسل (١١٥) في الطبقة الثالثة منه، وذكر له جُملة كُتب، وبينها كتاب «المشجّر» هذا. ولم أقف على كتابه هذا، والراجح أنه من مُشجّرات النَّسَب لا في غريب اللغة، فما ذكره أحد ممّن تكلم في مُشجرات الغريب.
قال الرافعيُّ في تاريخ آداب العرب ٢/ ٣٧٧: «ولعلَّ أخذ هذه التسمية -يعني المشجَّر من الشعر- مما يسمونه بشجرة النسب؛ إذ هما مُتشابهان في الوضع، مُتّفقان على الجملة في الترتيب، وهذه الكلمة (شجرة النسب) كانت مستعملة في القرن الرابع وما بعده، بدليل وجود بعض كتب في الأنساب مسمّاة بهذا الاسم».

إلا أنَّ الخُلاصة التي تطمئنّ لها النفس أنَّ «الفرق جوهريّ بين العلم والفن، فالعلم يقوم على توافر القوانين والقواعد والأسس والمناهج التي تُطبَّق في مجال القيادة والعمل، بينما الفن يقوم على التجربة والذوق وردود الأفعال الإنسانية الشخصية والجماعية»[١].

ومما يجب التنبّه إليه في هذا السياق هو أنَّ توضُّعَ مُصطلحي العلم والفنّ والفصل بينهما بالصورة المذكورة آنفاً حديثة، وليست قديمة.

وهنا يجب أن يكون فهمنا لصنيع الإمام السيوطي بإدراجه المُشجَّر ضمن أنواع علوم اللغة العربية عميقاً، بحيث لا نفهم ذلك إقراراً منه على أنَّ المشجَّر علم من علوم اللغة؛ فإنما قصد بالعلم هنا «المعرفة»، لذا تراه يصدّر عناوين أبوابه بالقول: «معرفة المشجَّر...، أو معرفة المؤتلف والمختلف...» وغير ذلك، ولا تثريب عليه في ذلك؛ فبينهما عُموم وخصوص[٢].

فالمشجَّر فنٌّ؛ لأنه يقوم على التجربة والذوق، وهذا ما سنراه في اختلاف التجارب الثلاث التي وصلتنا من كُتب المشجَّر في الأسلوب وإن اشتركت جميعاً في الغاية[٣].

---

(١) الصفّار، فاضل: «قيادة المؤسسات في بنيتها وأهدافها»، مقال منشور في مجلة النبأ، العدد ٥٩، ٢٠٠١م.

(٢) قال أبو هلال العسكريّ: «المعرفة أخصُّ من العلم؛ لأنَّها علم بعين الشيء مفصَّلاً عما سواه». انظر «الفروق اللغوية» له، في الفرق بين أقسام العلوم، التسلسل (١٤٨) الفرق بين العلم والمعرفة، ص٩٣.

(٣) قال الأستاذ عبد الجواد في مقدمة تحقيقه لكتاب «المُسلسل في غريب لغة العرب» لابن الأشتركونيّ، ص٥: «وهذه المصنفات الثلاثة في تنوّع طرقها وتقدير أشكالها وترتيبها، مع اتّحاد موضوعها وأهدافها، تمثّل النشوء والارتقاء في تأليف الفنون العلمية وابتكار الفنون اللغوية».

وقد وصفه الأستاذ محمد عبد الجواد مُحقّق المشجَّرات الثلاثة بالفنِّ كما أسلفنا في قوله: «فنٌّ جديد من التأليف، عمَدَ إليه بعض اللغويين؛ لنظم المفردات في سُمُوطٍ عجيبة، يربطُ بين حبّاتها وشائجُ من المعاني اللطيفة، تحمل القارئ على أن ينتقل من لفظةٍ إلى أخرى على خيط دقيق من المعنى المشترك بينهما»[1].

إطلالة على الجهود السابقة في التعريف بالمشجَّر:

رغم ما بُذل من وقت وجهد في تتبُّع الجهود السابقة التي أخلصها أصحابها للتعريف بالمُشجَّر وبالمؤلفات المشهورة فيه وأصحابها ورغم توسيع دائرة البحث لتشمل المطبوع الورقيّ والمنشور الافتراضيّ (على صفحات النتّ)، إلا أنَّ عوائد البحث والتتبّع كانت شحيحة لا تنقع غُلّة ولا تشفي عِلّة، سوى المقال الذي حبَّره يراعُ الأستاذ محمّد جاد المولى في مجلّة مجمع القاهرة سنة ١٩٣٦م، وسيأتي!

وأول مَن نوَّه بهذا النوع من فنون اللغة في العصر الحديث الأستاذ مصطفى صادق الرافعيّ يوم خصَّه بصفحتين من صفحات كتابه الجليل «تاريخ آداب العرب»[2] المطبوع سنة ١٩١١م في سياق حديثه عن «أنواع النمو في اللغة»، بعدَ فراغه من درس المترادف والمشترك. وجاء كلامه تحت عنوانين: «المشجر والمسلسل» و«تاريخ هذا النوع»، ذكر بعدها مثالين للمشجّر، أولهما من

(١) مقدمة تحقيقه لكتاب «شجر الدرّ»، ص١٧.

(٢) «تاريخ آداب العرب»، مصدر سابق، ١/ ١٦٥-١٦٧، وقد نبّه إليه الأستاذ الدكتور عبّاس أرحيلة في مقاله المذكور آنفا.

كتاب «شجر الدرّ» لأبي الطيّب اللغويّ، وكان نُتفةً من «شجرة العين».
وثاني المثالين كان الفصل الأول من «مُسلسل» ابن الأشتركونيّ منـزوع الشواهد، طلباً للاختصار.

قال الرافعيّ ثمّة: «وقد استخرجَ اللغويون من الاشتراك في اللغة ومداخلة الكلام للمعاني المختلفة نوعاً سمَّوه المشجّر، وبعضهم يسميه المتسلسل...، وذلك أن يجيئوا بالكلمة المشتركة، فيعتبرونها شجرة يفرّعون من معانيها المختلفة فروعاً ويسترسلون في تفسير الكلام على الوجه المشترك حتى تبلغ الشجرة مائة كلمة أو أكثر، وكلُّها متسلسلة من كلمة واحدة»[1].

قلتُ: كأنَّ الرافعي ربط بين المشجّر والنوع الذي قبله (المشترك) جاعلاً هذا الربط مدخله لبحث المشجّر. إلا أنَّ وصفه هذا ينطبق على صنيع أبي الطيّب اللغويّ دون صنيعي أبي عمر الزّاهد وابن الأشتركونيّ؛ لأنَّ صنيعهما لا يقوم على الاشتراك، بل ينحصر في مُداخلة الألفاظ لتداخل معانيها، أي تسلسل المترادفات أو توالي التعريفات. فكان حقّه أن يخصَّ بوصفه صنيع أبي الطيّب اللغويّ في «شجر الدرّ» دون صاحبيه.

وقد ختمّ الرافعيّ بحثه في المشجّر بقوله: «وهذا الاتساع مما اختصَّت به العربية دون سائر اللغات. وللمشجّر معنى آخر في صناعات النظم نذكره في موضعه من باب الصناعات»[2].

---

(١) «تاريخ آداب العرب»، ١/ ١٦٥ ملخَّصا.

(٢) «تاريخ آداب العرب» ١/ ١٦٧، وقد سبق الحديث عن معنى المشجر في صناعة النظم في موضعه من تعريف المشجَّر لغةً واصطلاحا.

ثمَّ خصَّ الأستاذ محمد أحمد جاد المولى هذا الفنّ بمقالٍ ضافٍ عزيز[1] نشرَه في مجلّة مجمع القاهرة -كما ذكرنا آنفاً- بعنوان: «طريف التأليف اللغويّ»، كنتُ قد اطّلعتُ عليه بالواسطة، ثمّ أسعد الحظُّ بنُسخة مصوّرة منه منشورة على النتّ. وأسلوبه يدلّ على طول باعه في اللغة والأدب وسعة اطّلاعه على مصادرهما، ولا غرو فهو محقّق كبير ومَجمعيّ قدير.

وقد استهلّ الرجل مقاله بعد مقدّمة لم تطُل، بالقول: «ألا وإنّنا قد انتهى إلينا من فنون مَتْن اللغة فنّ ظاهر الفضل، جليل المَغزى، إلى ما به من طرافة تبعث على الطرب، فهو يجمع بين الفائدة والمتعة كليهما، كالورد المنضُور، أنت من رائحته وورقه بين عبير وحرير»[2]. ثمّ أشار إلى أنّنا لا ندري عداد المؤلفات في هذا الفنّ، «فلقد عبثت بكثير منها أيدي الغِير، كما عبثت بأمثالها من آثار قرائح السّلف المجيد!»[3].

قلتُ: لا أدري على ماذا بنى تقريره هذا، من أنّ المؤلّفات في هذا الفنّ كثيرة عبثت بها أيدي الغِير، فما ذكرَتْ لنا فهارس الكتب سوى «حُلي المُداخل»، وسيأتي!

وقد بيّن الأستاذ جاد المولى خطّته في مقاله، قائلاً: «ونحن -فيما يلي- مجملون القول في نشأة هذا الفنّ اللغويّ، فعارضون ما تناهى إلينا من كتبه:

---

(١) كنتُ قد قرأت عن هذا المقال في فِهرست «مجلّة مجمع اللغة بالقاهرة»، وما وقفت على نُسخة منه إلا قُبيل نشر هذا الكتاب، فحرصت على تناوله بشيء من التفصيل؛ إذ كان أفضل ما كُتب عن هذا الفنّ والتنويه به وبالمصنّفات المعروفة فيه.

(٢) «طريف التأليف اللغويّ» للأستاذ محمّد أحمد جاد المولى، ص٣١٣.

(٣) المصدر السابق، ص٣١٤.

سواء أكان ما تناهى إلينا كتاباً كاملاً، أم بعضاً من كتاب. وسبيلُنا أن نوجز ترجمة المؤلّف، ثمّ نصف كتابه، ثمّ نثبتُ لمعة منه تدلّ عليه. على أن نراعي -في ذلك العرض- الترتيب الزمنيّ، فنبدأ بالسابق، ثمّ نذكر من يليه، ثمّ من جاء بعد»[1].

ومن أهمّ ما ورد في هذا المقال، وبعضه مُستغرب:

■ جعل هذا الفنّ من الترف العلميّ، إذ قال في ص٣١٤ و٣١٥: «فهو ترف علميّ، ولعلّ ذلك أصدق وصف له. وإلا، فما بال لفظة تفسّر بلفظة، ثمّ تفسّر هذه بثانية، ثمّ تفسّر الثانية بأخرى؟ إلا إنّه إدلال بالقُدرة، وتجربة للملكة، ومعرض للحوافظ المكينة: يتجلّى فيه بارع تمكنها، ويظهر به واسع محصولها»!!

قلتُ: ما أراه كذلك، خاصّة وقد مثّل له بصنيع أبي عمر المطرّز في «المُداخل»، وسيأتي أنّ مُداخَلات الكتاب من المفردات مرويّة بالأسانيد عن إمام من أئمّة اللغة، فهي عندي من طرق تيسير حفظ اللغة عندهم. نعم، ربما -أقول ربما- ناسب هذا الإطلاق صنيع أبي الطيّب اللغويّ وابن الأشتركونيّ، أما المطرّز، فلا!

■ غلَّبَ الظنّ بأنّ «هذا الفنّ نشأ في فجر القرن الثاني»، مُستدلاً عليه برواية صاحب «المُداخل» عن أئمّة بينهم مَن ولد سنة أربعين ومائة. المقال، ص٣١٧.

---

(١) «طريف التأليف اللغويّ»، مصدر سابق، ص٣١٤.

قلتُ: فيه تجوّز، فالأصل أن تؤرّخ نشأة العلوم والفنون بتاريخ أوّل مصنَّف فيها. ولو أنّ المُطرِّز لم يسلك أسماطه المرويّة بالأسانيد في كتاب، لبقيت شذرات تُروى في كُتب متن اللغة لا غير.

■ ذهب إلى أنَّ أوّل من صنَّف في هذا الفنّ هو ثعلب شيخ أبي عمر المُطرِّز الذي يروي عنه كلّ فصول الكتاب. وهو رأيي قبل أن أقف على مقاله هذا، وسيأتي في موضعه من الفصل الثالث هنا. قال في ص٣١٨: «على أنّ أغلب الظنّ أنّ ثعلباً كان يُلقي فصول هذا الكتاب في مجالسه، لا على الولاء، ولكن تفاريق وأشتاتاً، فعمد أبو عمر إلى هذه الفصول، فعني بجمعها، وضمّ بعضها إلى بعض، حتّى تكون كتاباً مُستقلا. وهذا فضله الذي يذكر، وعمله الذي يؤثر».

■ لم يطّلع الأستاذ جاد المولى على«شجر الدّر»، وظنَّ أنّه مفقود. قال في ص٣٢١ قاصداً أبا الطيّب اللغويّ بكلامه: «وكتابُه شجر الدرّ مفقود –فيما نعلم– بيد أنّ السيوطيّ أثبت منه في كتابه المزهر: مقدمته، وفصلاً منه»، وساق ما نقله السيوطيّ ثمّة. ويبدو أنّ بحثه في خزائن المخطوطات كان قاصراً، فما اهتدى إليه.

■ وختم المقال بالقول: «وبعدُ، فهذه مقالة صرفنا فيها وجه القلم إلى تاريخ فن طريف من فنون اللغة، فقد هالنا ما رأينا من إغفاله في بعض كتب تاريخ اللغة وعلومها، أو ذكره بما لا يفي بحقّه في البعض الآخر»، وفيه انتقاد

لصنيع الرافعيّ في كتابه «تاريخ آداب العرب»، فقد اطّلع عليه ونقل عنه قوله بأنّ أوّل من صنّف في هذا الفن هو المطرّز، وعقّب عليه بما نقلت لك آنفا.

■ وتأمّلَ في آخر خاتمته أن ينشط للبحث فيه غيره، قائلاً: «وأكبر الرجاء أن نكون قد أدينا بذلك واجب توجيه الأنظار نحوه، وتشويق النفوس إليه؛ لعلّ الغُيُر من الباحثين في اللغة يستكملون بحثه، ويستوفون الرأي فيه، ولعلّ منهم من ينشط إلى نشر الكتب المخطوطة المؤلّفة في شأنه»، وهو ما تحقّقَ بنشر الواصل إلينا من كُتب هذا الفنّ مُحقَّقة على يد الأُستاذ محمّد عبد الجواد، وبجُهدنا في درسه والبحث فيه قبل حوالي ثماني عشرة سنة، وإن تأخّر نشره إلى يومنا هذا.

ثم تأتـي جهود الأستاذ محمد عبد الجواد الكبيرة في إحياء مصنّفات هذا الفنّ بالعناية بها وتحقيقها، فقد اختصَّ الرجلُ بتحقيق كتب المشجَّر الثلاثة[1] التي وصلت إلينا عبر السنين: «المُداخل» و«شَجر الدرّ» و«المُسلسل»، وكتب لها مقدماتٍ جيّدةً ضافية، كان أوسعها مُقدمة تحقيق كتاب «شجر الدّرّ» لأبي الطيّب اللغويّ، التي قاربَت الخمسين صفحة، واستغرقت الصفحات (٩-٥٦) من الكتاب.

(١) لكتاب أبي الطيّب اللغويّ «شجر الدُّرّ» تحقيقٌ ثان، أنجزه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، ونشرته مطبعة النهضة بالقاهرة، سنة ١٩٥٦م. ذكره الأستاذ عباس أرحيلة في مقاله «معجم المعاني: نماذج من التراث العربي» وغيره، وما وقفت عليه، للأسف!

وقد تجاوز عملُ الأستاذ عبد الجواد[1] في تلك المقدمات وصفَ النسخ ووصف منهجه في التحقيق وبيان رموزه وغير ذلك، إلى دراسة المشجّرات

---

(١) نجد من واجب الوفاء لهذا اللغويّ الذي بعث مُصنّفات هذا الفنّ، التعريف بشخصه والتنويه بمكانته بين حُرّاس تراث الأمّة، فأقول وبالله التوفيق: هو محمّد بن سيد أحمد عبدالجواد الهورينيّ.
ولد سنة ١٨٨٧م، لوالدٍ مُحبٍّ للعلم والعلماء، فقد كان الرجل مجاوراً بالأزهر الشريف.
بدأ مُترجَمُنا حياته الدراسيّة في كُتّاب القرية، ثمّ صحب أباه سنة ١٨٩٩ في اختلافه إلى الجامع الأحمديّ. ثمّ دخل «دار العلوم» سنة ١٩٠٩م، ونال الدبلوم بها سنة ١٩١٤م.
حالت الحرب العالمية الأولى دون ابتعاثه إلى لندن لإتمام الدراسة، بعد أن رُشّح لذلك مع اثنين من زملائه النابهين. وبعد دراسة وتدريس، طلبته وزارة المعارف سنة ١٩١٩م للتدريس في المدرسة العباسيّة الابتدائيّة للبنات، فمكث ثمّة اثني عشرة سنة، نقل بعدها سنة ١٩٣٢م إلى «دار العلوم»، ثمّ إلى «معهد التربية للمعلمات» سنة ١٩٣٨م، حتّى إحالته على التقاعد سنة ١٩٤٧م.
جمع الرجل بين الدراستين المشيخيَّة والنظاميّة، وحصل على ليسانس القانون سنة ١٩٢٧م من الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا).
قال عنه العلامة الزِّركليّ في الأعلام: «مُصنِّف (تقويم دار العلوم)، ومن كبار رجال التربية والتعليم». كان -رحمه الله!- غزير الإنتاج، ومن أهمّ مُصنّفاته: «تقويم دار العلوم - العدد الماسي»، و«مشروع تيسير القراءة العربيّة» الذي قدّمه إلى مجمع فؤاد الأول، وتحقيقه لكتب المشجّر الثلاثة، وغير ذلك من الكتب والمحاضرات الجامعيّة التي أعدّها لطلابه في كليّة دار العلوم بجامعة القاهرة.
توفي الأستاذ عبد الجواد سنة ١٩٦٤م، رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته!
ترجمته في أعلام الزِّركليّ ٦/ ٢٤ و٢٥، وله ترجمة مطوّلة بقلم أحد طلاّبه الأستاذ السيّد أحمد العجّان -عضو المجلس الأعلى للتعليم بمصر- منشورة بذيل الجزء الأول من تقويمه لدار العلوم، واستغرقت الصفحات ٩٠٩-٩٢١، وهي عُمدتنا في كتابة هذه السطور التعريفيّة به.

الثلاثة دراسةً أوليّة، فعرَّف بها وبمُصنِّفيها، وعقد موازنة بينها، كلّ ذلك مُختصرا. إلا ما كان من دراسته لكتاب «شجر الدّرّ» في خمس صفحات (٤٣-٤٨)، فقد بسط القول في صنيع أبي الطيّب اللغويّ. وسيأتي ذكر جهده هذا في الفصل الرابع من هذا الكتاب، لصلته بموضوع الفصل[١].

لكنّ الإحصاءاتِ الكثيرةَ التي بثّها في حواشي تحقيقاته جليلةُ القدر، غزيرة الفائدة، تدلّ على رسوخ قدمه في الدرس الفقهيّ اللغويّ، ووعيه بمنزلة الاستقراء الرياضيّ وأهميَّته في الدراسات اللغويّة، وأنّه منهج القُدامى من علمائنا الأفذاذ. وهي جهود تستحقّ الإشادة والذّكر، ويستأهل لأجلها العرفان والشُّكر!

ويأتي دور الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «فصول في فقه العربية»، ليُدرج الحديث عن «المشجّر» في استعراضه للتراث المعجمي العربي في الفصل الأول من الباب الرابع الذي عقده تحت عنوان: «المعاجم العربية».

---

(١) وقد تتبّع صنيعَه في تحقيق «شجر الدّرّ» بالنقد والاستدراك أحدُ المشاركين في منتديات مجالس «ألوكة» على النتّ، تحت الاسم المستعار «الواحديّ». قال في مُسْتَهلها: «هذه جملةٌ من التقييدات انقدَحَت أثناء مراجعة (شجر الدّرّ) بتحقيق الأستاذ محمد عبدالجواد. وهي لاتنتقصُ من جهد المحقق أو إتقانه؛ بل أُثبتها رجاء أن يُستفاد من صوابها ويراجَعَ خطؤها. وقد ركَّزتُ فيها على الشواهد حصرا». وأدرج تمامَ ثلاثين استدراكاً على تحقيق شواهد الكتاب وضبطها، ثم أتبعها بتسع وعشرين تصويباً آخر لما وقع في الكتاب من تصحيف، والطريف في صنيعه «وقوع التصحيف في الاستدراك على التصحيف»، نتيجة ضعف إمكانات البرنامج المستخدم في المنتدى، كما تنبّه إلى ذلك هو ذاته. تنظر مُشاركته بالوصلة:

http://majles.alukah.net/showthread.php?p=346649

وقد ذكر الدكتور عبد التواب المشجَّرات الثلاثة المعروفة، وطرَّز عرضه لها ببعض الملاحظات النقدية والموازنة، كقوله في المُداخل للمطرِّز بأنَّ «طريقتَه مثل طريقة أبي الطيب -يعني اللغويّ- غير أنه يتضمَّن كثيراً من الألفاظ الموغلة في الغرابة». وختم عرضه لكتاب «المسلسل» لابن الأشتركونيّ بالقول: «وهو مليء فيما عدا ذلك بالشواهد الشعرية».

وعلي أية حال.. فإنَّ مرورَه على موضوع المشجَّر كان عابراً لم يستغرق سوى صفحة أو تزيد قليلاً[1]، لم يستوفِ فيه بيان صلته بالمعاجم، وأوجه القرابة بينها؛ لأن ذلك ليس من شرطه في كتابه، فيما يبدو.

كما ذكر المُشجّرات عَرَضاً في سياق نقده للإمام السيوطيّ في كتابه «بحوث ومقالات في اللغة»، قائلاً: «ومع تطويله النقل عن بعض المصادر على هذا النحو، نراه لا يستخدم في بعض الأحيان كل الكتب المتخصصة في الموضوع الذي يكتب فيه. ففي موضوع: المشجر مثلاً، لم يستخدم السيوطي كتاب: المُداخل لأبي عمر الزاهد (ت ٣٤٥هـ)، ولا كتاب: المسلسل لأبي الطاهر التميميّ (ت ٥٣٨هـ)»[2].

ثم يأتي دور الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال[3] ليذكر موضوع «المشجَّر» بشيء من التفصيل الذي لا يخرج عن الإطار الوصفيّ، في مُعجمه جليل

(١) «فصول في فقه اللغة» للدكتور رمضان عبد التوّاب، ص٢٤٥ و٢٤٦.

(٢) «بحوث ومقالات في اللغة»، للدكتور رمضان عبد التوّاب، ص٢٠٦.

(٣) أحمد الشرقاوي إقبال (١٩٢٧-٢٠٠٢م): من مُعجميي المغرب الكبار ومُحققيه وأُدبائه. ولد بمراكش، واشتغل أستاذاً بمدرسة المعلمين الإقليمية فيها. له ما يقرب من عشرين مؤلفاً منشوراً تتوزع بين التأليف والتحقيق، منها كتابه: «معجم المعاجم» الذي عرّف فيه بنحو (١٥٠٠) معجماً، وتحقيق كتاب: «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن» للإمام ابن الجوزي الذي نشره سنة ١٩٧٠م. ترجمته في موقع اتحاد كتاب المغرب: www.uemnet.free.fr.

القدر: «معجم المعاجم»، حيث استوفى فيه الحديث على المشجّرات الثلاثة في المجموعة التاسعة: «مجموعة الطرائف» تحت عنوان: «معاجم المداخل والمشجّر والمسلسل»[١].

وألحق بها في العرض كتاباً آخر يُنسب إلى أبي عمر المُطرِّز عنوانه «حُليُّ المُداخل»، لكنّه ذكره بعنوان «حل المداخل» وذكرَ مَن نسبه إليه من المُفهرِسين. والحقُّ أنّ «مطبوعات» المصادر التي أشارت إليه أوردت عنوانَه على ثلاث صِيغ، ما ذكرنا توّاً وصيغة ثالثة هي: «على المداخل»[٢]. وزاد الأستاذ عبد الجواد في ترجمته «علل المُداخل» وجعله كتاباً آخر غير «حُليّ المداخل»، وعزاه إلى بعض المصادر، هكذا!

وليس بين أيدينا ما يرجّح صيغة على أخرى، والأوّل أقرب نَسَباً للأدب وتراجمه، وعلى أيّة حال؛ فالكتاب مفقود، للأسف!

استهلّ الأستاذ إقبال حديثه عن هذه المصنّفات بالقول: «من ظريف التصنيف المعجمي تلك المعاجم التي سُمِّيت بالمداخل مرّةً وبالمشجر مرة والمسلسل مرة، وكان التدبير في تصنيفها أن يبدأ الواحد من أبوابها بكلمة أُولى تكون مفتاحاً، ثم يفسر معناها بكلمة ثانية، ثم يفسر معنى الثانية بثالثة...

(١) «معجم المعاجم»، للأستاذ إقبال، واستغرق عرضه لها الصفحات ٣٤١ - ٣٤٦.

(٢) الصيغة الأولى في «الفهرست» لابن النديم ص١٠٣، وكذا في «هدية العارفين» لإسماعيل باشا ٢/ ٤٢. وهو في «معجم الأدباء» لياقوت الحمويّ ٦/ ٢٥٥٩، وكذا في «إنباه الرواة» للقفطيّ ٣/ ١٧٧. وورد على الصيغة الثالثة في «وفيات الأعيان» لابن خلِّكّان، ٤/ ٣٣٠. و«الحُلِيُّ»: جمع (حَلْيٍ)، كَثُدِيٍّ فِي جَمْعِ ثَدْي. وهو ما تتحلّى به المرأة من ذهب وغيره.

وهلُمَّ جرّا، إلى أن يُغلق الباب بكلمة آخرة تكون خاتمة له. ثم يستأنف الأمر في الباب الذي يليه على تلك الوتيرة إلى آخر الأبواب في الكتاب»[1]، ثمّ قدّم نموذجاً موضّحاً لما بيّنه هنا.

ثمّ ترجم للمصنّفات الثلاثة على ترتيبها الزمنيّ الذي أورده في عنوان المجموعة، وترجم لمصنِّفيها بتراجم مُختصرة، ووثَّق نسبتها جميعاً إلى مصنِّفيها. ثمّ قدّم وصفاً مقتضباً لكلّ كتاب منها. وفي الختام، قدّم تتبُّعاً وافياً لمخطوطات كُتب المشجَّر في المكتبات الإسلامية حول العالم، مع ذكر تحقيق كلّ منها وسنة النشر ومحلّه والسلسلة التي نشر تحتها.

وختم قائلاً معترفاً للأستاذ عبد الجواد بفضله في بعث هذا التراث اللغويّ: «وقد تهمّم الأستاذ محمّد الجواد -كذا ذكره، وهو خطأ مطبعيّ- بهذا الصنف من المعاجم، فحقّق منه ما عرفه من كتبه الثلاثة السابقة الذكر، وصدّرها بتقدمات، اقتبست منها ما أعان على التعريف بها مخطوطة ومطبوعة»[2].

كما نشر الأستاذ إقبال مقالاً بعنوان: «طرائف من المعجم العربي»، تعرّض فيه إلى المشجّرات، ومادته مطابقة تقريباً لما جاء في «معجم المعاجم»، لكنّها نشرت قبل سنة من نشر الكتاب فيما أعلم[3].

---

(١) «معجم المعاجم»، مصدر سابق، ص٣٤١.

(٢) «معجم المعاجم» أيضاً، ص٣٤٦.

(٣) وهو مقال مُستلّ من ندوة «في النهضة والتراكم» في تكريم الأستاذ محمد المَنُّونـيّ، سنة ١٩٨٦م. يُنظر المقال في «مُلتقى أهل الحديث» بالرابطة:
www.ahlalhadeeth.com/vb/shpwthread.php?t=73489

وفي مقال للكاتب المغربي الأستاذ الدكتور عباس أرحيلة تحت عنوان: «معجم المعاني: نماذج من التراث العربي»، تطرَّق في النموذج الثالث من نماذجه إلى «المُشَجَّر والمُسلسَل». وبعد تنويهه بجهود كلّ من الرافعيِّ والأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال، قال: «فالقارئ لهذا النـوع من المعاجم يتتبَّع سلسلة مُتداخلة من الألفاظ يجمع بينها معنى مشترك، يتنقل داخل المعجم العربيّ بدون سأم، وهو يجني المعاني الدقيقة قابضاً على الخيط الرابط بينها.

وهذا المنحى في التأليف المعجمي يقوّي التفقُّه في العربية بإدراك خصائص العربية، وخُصوبة ألفاظها ودقة معانيها»[1] ثم قدّم عرضاً جيداً لكُتب المشجر الثلاثة المعروفة.

ويأتي دور الأستاذ عبد العزيز الحميد في بحثه: «مقدمة مختصرة عن المعاجم»[2] ليسلك مؤلفات هذا الفنّ في سِلك معاجم اللغة وتحديداً «معاجم المعاني» أو «معاجم الموضوعات» في مقابل «معاجم الألفاظ». وذكرَ في بحثه كتابي أبي طاهر التميميّ وأبي الطيّب اللغويّ تحت عنوانٍ فرعي هو: «تسلسل المعانـي».

ويبقى الفضل للإمام جلال الدين السيوطيّ في التعريف بالمشجَّر في العصور المتأخّرة، في كتابه الجليل «المُزْهر في علوم اللغة وأنواعها»، وأفرد له النوع الحادي والثلاثين من أنواع كتابه التي بلغت سبعة وأربعين نوعاً من علوم اللغة، تحت عنوان: «معرفة المشجَّر».

---

(١) يُنظر المقال بالرابط: http://takhatub.ahlamontada.com/t1606-topic

(٢) بحث ماتع، يُنظر في موقع «صوت العربية» بالرابط: http://rds.yahoo.com

لم يزد الإمام السيوطي على أنَّ قال: «أَلَّف في هذا النوع جماعةٌ من أئمة اللغة كُتباً سمَّوها شجر الدّر، منها شجر الدرّ لأبي الطيّب اللغويّ»، وسرد «شجرة العين» كاملة من كتاب «شجر الدرّ» هذا، وعقَّب على ذلك بالقول: «لطيفة - هذا النوع يُناظره من علم الحديث نوع المسلسل».

قلتُ: لي مع الإمام السيوطي فيما قال وقفات، أوجزها فيما يأتي:

الأولى: لا أعرف أن هناك مَن صنَّف في المشجَّر تحت عنوان: «شجر الدرّ» سوى الإمام أبي الطيّب اللغويّ، فقوله: «سمَّوها شجر الدرّ» مُوهم! إلا إن كان ثمَّة تآليف لم تصلنا حملت الاسم ذاته. وربما غلَّب اسم كتاب أبي الطيّب على بقية الكُتب في هذا النوع؛ لتجويده فيه، كما سيأتي مبسوطا.

الثانية: معلومٌ للعارف بكتاب «المزهر في علوم اللغة» أنّ السيوطيّ سَلك فيه مسلكَ أهل الحديث في تصنيف علوم الحديث على التقاسيم والأنواع، وهو ما جعله يُعلّق على الأنواع بما يشبه قوله: «هذا النوع يُناظره من علم الحديث نوع المسلسل».

إلا أنَّني أراه تشبيهاً بعيداً وموازنة خاطئة..

فالمسلسل في علم الحديث هو أن يتَّفقَ الرّواةُ في إسناد من الأسانيد في صِيغ الأَداء، كـ: سمعتُ فلاناً، قالَ: سمعتُ فُلاناً... أو: حدَّثنا فلانٌ، قالَ: حدَّثنا فلانٌ... وغير ذلك من الصِّيغ، أو غيرها من الحالات:

■ القولية، كـ: سمعتُ فلاناً يقول: أُشهدُ الله لقد حدثني فلان... إلخ.

■ أو الفعلية، كقوله: دخلنا على فلانٍ، فأطْعَمَنا تمراً... إلخ.

■ أو القولية والفعلية معاً، كقولِه: حدثني فلان وهُو آخِذٌ بلحيته، قال: آمنتُ بالقَدَرِ... إلخ[1].

فإطلاق التسلسل على الحديث المسلسل إنما كان لتكرار صيغة معينة بعينها على ألسنة الرواة.

أما نعتُ المشجَّر بالمسلسل، فإنما جاء بتسلسل المفردات لتداخل معانيها، وما في ذلك من تكرار، لا للفظ ولا لمعنى على الوصف المقصود في علم الحديث[2]، والله تعالى أعلم!

جدير بالذكر هنا، أنّ أبا العلاء المعرّيّ (ت ٤٤٩هـ) قد ذكرَكتابَي المطرّز وأبي الطيّب في ترجمته للأخير من «رسالة الغُفران»، حيث قال ثمّة: «وأبوالطيّب اللّغويّ: اسمه عبد الواحد بن عليٍّ، له كتابٌ في الإتباع صغير

---

(١) يُنظر في تعريف نوع المسلسل في علم الحديث كتب مصطلح الحديث، كـ«الباعث الحثيث شرح علوم الحديث» للحافظ ابن كثير، و«نُزهة النظر في توضيح نُخبة الفكر» للحافظ ابن حجر العسقلاني وغيرهما.

(٢) وكتب في التعريف بالمشجّر أيضاً سامي أحمد العُمَير تحت عنوان: «افتنان العلماء في نشر العربية»، وهي سلسلة مقالات منشورة في «مُنتدى الأصلين»، تُطلب بالرابط:

http://www.aslein.net/archive/index.php/t-4130.html

إلا أنني لم أُترجم له في المتن؛ لأن جهده هذا مرتكز على ما كتبه الأستاذ عبد الجواد، إذ قال: «وأُنبّه إلى أنَّ ارتكازي في هذا الموضوع كما ذكرت لكم سابقاً هو على مُقدمة الدكتور -كذا- محمد عبدالجواد في تحقيقه لكتاب شجر الدر»، جزاه الله خيراً على جهوده!

على حروف المعجم في أيدي البغداديين، وله كتابٌ يُعرف بكتاب الإبدال، قد نحا به نحو كتاب يعقوب في القلب، وكتابٌ يعرف بشجر الدرِّ، سلك به مسلك أبي عمر في المُداخل»[(١)].

أمّا العلامة ابن بنين الدقيقيّ النحويّ[(٢)]، فسنولي صنيعَه في «الباب الثاني» من كتابه «اتّفاق المباني وافتراق المعاني» ما يستحقّ من الذكر والتنويه والتمثيل في الفصل الخامس من هذا الكتاب، فيكاد هذا الباب فيه يلتحق بكُتُب المشجّر[(٣)].



(١) «رسالة الغُفران»، ص ١٩٢.

(٢) ابن بَنين الدقيقيّ (... - ٦١٤هـ): تقيّ الدين، أبو الربيع سليمان بنبنين بن خلف الدقيقيّ. أديب، نحويّ، فرضيّ، عروضيّ. له مصنفات عدَّة، منها: «فرائد الآداب في قواعد الإعراب»، و«الدُّرّة الأدبية في نُصرة العربية»، و«إعجاز الإيجاز في المعاني والألغاز». توفي بالقاهرة. ترجمته في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي ١١/ ٢٤٤ وصرَّح ثمة بالأخذ عنه، و«بُغية الوعاة» للسيوطيّ ص٢٦١، و«معجم المؤلفين» لكحّالة ٤/ ٢٥٦ و٢٥٧.

(٣) «اتفاق المباني وافتراق المعاني»، لابن بنين الدقيقيّ النحويّ، واستغرقَ البابُ الثاني فيه الصفحات: ١٠٥-٢٤١.

الفصل الثاني

التعريف بأصحاب المشجّرات ونماذج منها

الفصل الثاني

التعريف بأصحاب المشجّرات ونماذج منها

تمهيد:

ذكرنا في استعراضنا للجهود السابقة من الفصل التمهيدي ما للأستاذ المحقق محمد عبدالجواد من فضل في إخراج كُتب المشجّر المعروفة للآن، وجهودَه الكبيرة في تحقيقها. إلا أنّ ذلك لا يمنع من تقديم بعض الملاحظات النقدية على عمله فيما يخصّ تراجمَه لأصحاب المشجّر، ودراسته للمشجّرات ذاتها.

فتراجمه لأئمة المشجَّر في تحقيقاته الثلاثة اتَّصَفَتْ بالاختصار، وخاصة في ترجمته للإمام أبي الطيّب اللغويّ والإمام ابن الأشتركونيّ.

وإذا كان قد لخَّص في ترجمته لأبي عُمر المُطرِّز أهمَّ المصادر التي تعرَّضت لحياته كـ «الفهرست» لابن النديم و«معجم الأدباء» لياقوت و«الوفيات» لابن خلِّكّان و«لسان الميزان» لابن حجر و«بُغية الوعاة» و«طبقات الشافعية» للسيوطيّ[1] وخرج بترجمة لا بأس بها له؛ فإنَّ ترجمته لأبي الطيّب اللغويّ مُختصرة اعتمد فيها على مصدرين اثنين فقط، هما: «الوافي بالوفيات» للصفديّ و«إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين» لعبد الباقي اليمنيّ، وهما من مؤرخي القرن الثامن الهجري!!

---

(١) مقدمة تحقيق «المداخل في اللغة» لأبي عمر الزّاهد، ص٥.

واقتصر في ترجمته لابن الأشتركونيّ السَّرقُسطيّ على كتاب «الصلة» لابن بَشكوال فقط، مع اعترافنا بأهميَّته، فهو من مُعاصري ابن الأشتركونيّ.

وعليه.. فقد حاولنا استدراك ذلك، وتتبّع تراجمهم في كتب التراجم العامّة والخاصّة، فعُدنا بإضافات مهمة من مصادر مُعتبرة، تجدها مَزْبُورة في هذا الفصل، في مواضعها من المتن والحاشية.

تراجم أئمة المشجَّر:

يَجمُل بنا أن نُترجم لأئمة المشجَّر بين يدي الحديث عن مُشجّراتهم المعروفة ومناهجهم في تصنيف مادّتها وتأليف أبوابها[١]، فمعرفة المصنِّف، ومعرفة مكانته بين أقرانه من العلماء، وأثره في وسطه العلمي = معرفةٌ لجوانب مهمة في الكتاب، وهي معرفة توصل إلى تقويم علميّ غالبا.

وسأترجم للأئمة الثلاثة ترجمةً معرفيةً–مَنقبية متوسّطة بين الاختصار والطول، مع بعض اللمحات النقدية التي يقتضيها الحال، فلا يتَّسعُ المقام للتراجم النقديَّة المطوَّلة[٢].



(١) يأتـي التعريف بمناهج المصنفين في المشجَّر والموازنة بينها في الفصل الثالث هنا.

(٢) يُنظر في أنواع التراجم تأصيلُ أستاذنا الشريف الحَمْش في كتابه: «محاضرات في تخريج الحديث»، ص٦٣– ٧٦، وسبقت الإشارة إليه في المقدمة.

أولاً: أبو عمر المطرز(١)

هو أبو عمر، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البَاوَرْدِي، المعروف بالمُطَرِّز، والزّاهد، وغلام ثعلب(٢). أحد أئمة اللغة المشاهير المُكثرين.

ولد سنة إحدى وستين ومائتين للهجرة، وتوفي يومَ الأحد، لثلاث عشرةَ ليلة خَلَتْ من ذي القَعْدة سنة خمس وأربعين، وقيل: أربع وأربعين وثلاثمائة(٣).

قال الذهبيّ: هو الإمام الأوحد، العلامة اللغوي المُحدّث(٤).

ذكر له ابن النديم في فهرسته تسعة عشر كتاباً، منها: «كتاب المُداخل»، وكتاب آخر بعنوان: «حُليّ المداخل»، ومنها أيضاً: «كتاب الشُّورى»، و«فائت الجمهرة»، وغيرها.

---

(١) مصادر ترجمته: «الفِهرست» لابن النديم ١١٣-١١٤، و«وفيات الأعيان» لابن خِلِّكّان ٤/ ٣٢٩-٣٣٣ (٦٣٨) و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٥/ ٥٠٨، ومصادره الكثيرة.
والباورديّ: نسبة إلى بُليدة بخُراسان، يُقال لها: باوَرْد، وأَباوَرْد، وأَبْيورد، ومنها أبو المظَفَّر الأبيورديّ الشاعر. أفاده ابن خَلِّكَان في وفياته ٤/ ٣٣٢-٣٣٣. والمطَرِّز: لقب مِهنة، يطلق على من يطرِّزُ الثياب، وقد كان كذلك.

(٢) ثَعْلب (٢٠٠-٢٩١هـ): هو أحمد بن يحيى بن يزيد، العلامة المُحدِّثُ، إمام النحو، أبو العباس الشيبانيّ مولاهم، صاحبُ كتاب الفصيح والتصانيف. ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ١٤/ ٥ (١) وغيره.

(٣) أفاده ابن خلِّكَّان. قلتُ: وفي ضبطه ليوم وفاته وتردّده في السنة التي كان فيها ذاك اليوم بعضُ غرابة.

(٤) «سير أعلام النبلاء»، ١٥/ ٥٠٨.

وقد وُصِم بالنصب الشديد وميله عن الإمام عليّ - رضي الله عنه -، وغفر الله للزاهد، فلا يؤذي النصبُ غيرَ صاحبه؛ إن صحّ عنه ذلك[1]!

ومن أخباره ما علَّقه ابنُ خلّكان في وفياته، عن أبي عليّ محمد بن الحسن الحاتميّ[2] قوله: «اعتللتُ، فتأخَّرت عن مجلس أبي عمر الزاهد، قال: فسأل

---

(١) أقول: «إن صحّ ذلك عنه»؛ لأنَّني وقفت له على حديث في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب يرويه عنه الحاكم في مستدركه ٣/ ١٢٠ (٤٥٨٢)، قال: حدثني أبو عمر، محمد بن عبد الواحد الزاهد، صاحب ثعلب إملاءً ببغداد، قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا زكريا بن يحيى المصريّ، قال: حدثني المُفضَّل بن فُضالة، قال: حدثني سِماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «تمَّ لعلي أربعُ خِصال ليست لأحد: هو أول عربي وأعجمي صلى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان لواؤه معه في كلّ زحف، والذي صبر معه يوم المهراس، وهو الذي غسّله وأدخله قبره»، فالتهمةُ تحتاج إلى تمحيص، لا يتَّسع له صدر بحثنا هذا.
بل أخرج في باب العُرَيج من «المُداخل» نفسه رواية عن ابن الأعرابي، قال: «ومنه خبر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، أنه كان يطوف بالبيت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! إن علياً لطم عيني. فوقف عمر حتى جاءه عليّ -كرَّم الله وجهه!-، فقال: يا أبا الحسن! ألطمت عين هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! قال: ولِـمَ يا أبا الحسن؟ قال: لأنّي رأيته ينظر إلى حُرَم المسلمين في الطواف. فقال له عمر: أحسنت! ثم أقبل على الملطوم، فقال له: وقعتْ عليك عينٌ من عيون الله تعالى. قال أبوالعباس ثعلب: فسألت ابن الأعرابي عنها، فقال: خاصّة من خواص الله عز وجل ووليٌّ من أوليائه وحبيب من أحبائه»، فتأمّله!
تُنظر الرواية في موضعها من «باب العُرَيج» من القطعة التي اقتبسناها من «المُداخل» هنا!
وممّا يُستصحب هنا، أنّه ألّف كتاباً في «فضائل معاوية»، أو هكذا ذكر العلامة الزّركليّ في ترجمته من «الأعلام»، والله تعالى أعلم!

(٢) أبو عليّ الحاتميّ (ت ٣٨٨هـ): صاحب «الرسالة الحاتميّة». تُنظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبيّ ٨/ ٦٣٩ (٣٨٩) و«كشف الظنون»، ١/ ٦٩٠ و٢/ ١٤١٥ و٢/ ١٩٠٥.

عنّي لمّا تراخت الأيام، فقيل له: إنه كان عليلاً! فجاءني من الغد يعودُني، فاتَّفق أني كنتُ قد خرجتُ من داري إلى الحمام، فكتب بخطه على بابي بإسفيداج[١]:

وأعجَبُ شيءٍ سمعنا بهِ عليلٌ يُعاد، فلا يوجَدُ!»[٢].

قلت: نُفيد مما تقدَّم أموراً منها:

■ أن الرجل ربما وقع له البيت أو البيتان من الشعر، وليس هو بشاعر. وقد وقفتُ له في مصادر ترجمته على بيتين آخرين من شعره، أوردهما ابن النديم في ترجمته من «الفهرست»، قال: «وكان -يعني الزاهد- يقول إنه شاعر مع عامّيته، فمن شعره:

إذا ما الرافضُ الشاميُّ تمَّتْ معــايبُه تختَّم فـي يمينِهْ

فأمّا إن أتاك لسمت وجـهٍ فإنَّ الرفـض بادٍ في جبينِهْ

ويكفيه جهلاً هذا الشعر»[٣].

كذا وصفه بالعامية والجهل، مع إمامته في العربية!

---

(١) الإسفيداج: هو رمادُ الرصاص والآنُك، مُعرَّب. القاموس مادة (إسفيداج).

(٢) «الوفيات»، ٤/ ٣٣١.

(٣) «الفهرست»، ص١١٤.

■ أنّه كان فاضلاً في نفسه، مُتديناً، زاهداً، بغضّ الطرف عمّا وصم به من نصب.. يعود المريض، ويُكرم تلامذته.

■ أنّه كانت به دُعابة، وشِعره الذي كتبه على باب صاحبه فيه طرافة.

وقد وقفتُ على أسانيد كتاب «المُداخل» إلى المُطرِّز[1] في فهرسة ابن خير (ت ٥٧٥ هـ)[2]. وجدير بالذكر هنا أنَّ سماع الكتاب كان في أصقاع متعدّدة متباعدة من بلاد الإسلام، منها: اليمن وإسفرايين[3] وفي ذلك دليلٌ على شُهرة الكتاب وانتشاره.

***

(١) قال الأستاذ إقبال في مقاله «طرائف من المعجم العربي»، ص٣٤١: «نسبه إليه ابنُ النديم في الفهرست، وابن خير في الفهرسة، وياقوت في إرشاد الأريب، والقفطيّ في إنباه الرواة، والخلِّكاني -كذا- في وفيات الأعيان، والسيوطي في بُغية الوعاة، وخليفة في كشف الظنون، وإسماعيل باشا في هدية العارفين، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي».

(٢) تُنظر «فهرسة» ابن خير ٢/ ٤٦٥-٤٦٧ (٩١٣)، فثمة الأسانيد مُفصَّلة. وأسانيدنا إلى ابن خير موجودة محفوظة، ومنها إسنادنا عن شيخنا العلامة الحَمْش -عافاه الله تعالى!- بأسانيده إلى ابن خير، رحمه الله تعالى!

(٣) إسفراين (بياء واحدة): بُليدة حصينة من نواحي نَيسابور على منتصف الطريق من جُرجان، واسمها القديم: مِهْرَجان، سمّاها بذلك بعض الملوك لخضرتها ونضارتها. «معجم البلدان» لياقوت، ١/ ١٧٧.

ثانياً: أبو الطيب اللغويّ[1]

هو أبو الطيّب، عبد الواحد بن علي الحلبيّ اللغوي الأديب. لم يذكروا سنة ولادته، واستُشْهِد بحلب الشهباء، يوم دخلها الدُّمُسْتق[2] سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة هجرية.

أصله من عسكر مُكْرم[3] وسكن حلب، وهي وقتئذٍ حاضرةُ بني حمدان.

قال عنه الفريروزآباديّ: «الإمام الأوحد، اللغوي. له التصانيف الجليلة، منها: كتاب مراتب النحويين لطيف، وكتاب في الإتباع، وكتاب الإبدال، وكتاب شجر الدّرّ، وقد ضاع أكثر مصنفاته...»[4].

---

(١) مصادر ترجمته: «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعرّي ص١٤٧، و«البُلغة في تراجم أئمة النحو واللغة» للفيروزآبادي صاحب القاموس ص١٩٠ و١٩١ (٢١٠)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة ص١٦٥٠، و«إيضاح المكنون» ٢/ ٤٠ و٤٠٦، و«هدية العارفين» للبغداديّ ١/ ٦٣٣، و«الأعلام» للزركلي ٤/ ٣٢٥، و«معجم المؤلفين» لكحّالة ٦/ ٢١٠.
وبعض ما نقلت في ترجمته هنا مقتَبس من ترجمته في كتاب «دراسات في فقه اللغة» ص٩٦/ هامش (٢)، لشيخ مشايخي الدكتور صبحي الصالح -رحمه الله تعالى!-، نقلاً عن «بُغية الوعاة» ص٣١٧. وانظر ترجمةً ضافية لأبي الطيّب اللغويّ بقلم الأستاذ عزّ الدين التنوخيّ في مقدمة تحقيقه لكتاب «الإبدال» ١/ ٤٣-٧١، ومصادر ترجمته ١/ ٧٢.

(٢) الدُّمُستق، وتجمع على دَماسق: لقبٌ كان لقائد جيوش الروم (لاتينية). المنجد (دمس) ص٢٢٤.

(٣) عسكر مُكْرَم: بلد مشهور من نواحي خوزستان (كُوَر الأهواز)، منسوب إلى مكرم بن مَعْزاء الحارث، أحد بني جَعْوَنة بن الحارث بن نُمير بن عامر بن صَعْصَعة، وقيل غير ذلك. «معجم البلدان» لياقوت الحمويّ، ٤/ ١٢٣.

(٤) «البُلغة» للفيروزآباديّ، ص١٩٠.

قلت: كأنهم ميزوه بلقب اللغويّ عن أبي الطيّب المتنبيّ الشاعر، فهو معاصر له، دفعاً للوقوع في أوهام الجمع والتفريق.

أخذ عن أبي عُمر الزّاهد، وأبي بكر الصُّوليّ[١]. وقد قرأ أبو الطيب على شيخه الزّاهد كتابـي «الفصيح» و«إصلاح المنطق» حفظا.

رافَقَ أبا الطيّب في الأخذ عن الزّاهد: أبو علي القاليّ صاحب الأماليّ، وابن خالوَيْه، وكان بينه وبين ابن خالويه نفاسة.

قال الأستاذ التنوخيّ في مقدمة تحقيق «الإبدال» لأبي الطيّب: «ولا نعرف من تلاميذ أبي الطيّب غير ابن القارح (يعني عليّ بن منصور) صديق أبي العلاء المعرِّي الذي أجابه على رسالته إليه برسالة الغفران...»[٢].

ترجم له المعرّي في رسالة الغفران، فقال: «وأبو الطيب اللّغوي اسمه عبد الواحد ابن عليّ، له كتاب في الإتباع صغير على حروف المعجم في أيدي البغداديين، وله كتاب يعرف بكتاب الإبدال، قد نحا به نحو كتاب يعقوب في القلب، وكتابٌ يُعرف بشجر الدر، سلك به مسلك أبي عمر في المداخل...، ولا شكّ أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته؛ لأنّ الروم قتلوه وأباه في فتح حلب. وكان ابن خالويه يُلقِّبه: قَرْمُوطَة الكَبَرْثَل، يُريد: دُحروجة الجُعَل، لأنَّه كان قصيرا.

(١) أبو بكر الصوليُّ: هو محمد بن يحيى ابن صُول، اشتُهر بالرواية والحفظ، وكان من أحسن الناس لعباً بالشطرنج. نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، هم: الراضي والمكتفي والمقتدر. كان جدُّه صول وأهله ملوك جُرجان. توفي في البصرة مستتراً سنة ٣٣٥هـ. ترجمته في «مروج الذهب» ٢/ ١٥٩ وغيره.

(٢) مقدمة تحقيق كتاب «الإبدال»، مصدر سابق، ١/ ٤٦.

وكان بين أبي الطيّب اللغويّ وبين أبي العباس ابن كاتب البكتمرّيّ مودة ومؤانسة، وله يقول:

يا عـبدُ إنَّك عندَ القلب جنّتُه ... حُـباً، وإنَّك عند الطَّرفِ ناظرُهُ

أزمعت سيراً، فقُل ما أنتَ قائلُه ... واذكر لراعي الهوى ما أنتَ ذاكرُه

لا أشتكي سهراً طالت مسافتُه ... اللّـيلُ يعلمُ أني الدهرَ ساهرُه

قوله: يا عبدُ، يريد: يا عبدَ الواحد...، وقد كان أبو الطيّب يتعاطى شيئاً من النظم»(١).

قلت: رغم علوّ شأن الرجل في اللغة وتميّزه في الصّنعة إلا أن من يتصدى لترجمته سيعاني رَهَقاً، لشحّة مصادر ترجمته وفقرها في التعريف بشخصيته وذكر أخباره؛ لذا نقلت جُلّ ما أورده أبو العلاء في ترجمته لأنها وجادةٌ ثمينة، فيما أرى!

وقد نَسَبَ «شجر الدرّ» لأبي الطيّب اللغويّ كلّ من: الفيروزآباديّ في «البُلغة» والسيوطيّ في «المزهر» وفي «البُغية»، وإسماعيل باشا البغداديّ في «الهدية» و«الإيضاح»، وبروكلمان في «تاريخ الأدب العربي».

---

(١) «رسالة الغفران» للمعرِّيّ، ص٥٥١ و٥٥٢. وقد ترجمت له محققة «رسالة الغفران» الدكتورة بنت الشاطئ قائلة: «أبو العباس البِكْتُمُريّ: لم نجد أبا العباس، وإنما الذي وجدناه: أبا الفتح البكتمريّ، ويعرف بابن كاتب الشاميّ...»، يُنظر تعليقها هذا في هامش ص٥٥٢ منه.
قلتُ: بل هو أبو العباس، أحمد بن عبد الله، شاعر مشهور. ترجمته في «بغية الطَّلَب في تاريخ حَلَب» لابن العَدِيم، ١/ ٣١٥.

ثالثاً: ابن الأشتركونيّ[1]

هو جمال الدين، محمد بن يوسف بن عبد الله، أبو طاهر التميميّ، المازنيّ، السَّرْقُسطيّ، المعروف بابن الأَشْتَرْكُوني. سكن قُرطبة.

وزيرٌ، أديب، لغويّ، شاعر. مالكيّ المذهب.

ولد بسَرْقُسطة، وما وثّقوا سنة ولادته، وتوفي بقرطبة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة[2].

قال ابن بَشْكُوال (٤٩٤ – ٥٧٨هـ): «يُكنى أبا طاهر، صاحبُنا.

سمع من أبي علي الصدفيّ كثيراً، ومن أبي محمد بن ثابت، وأبي عمران ابن أبي بُكير، وأبي محمد بن السيد، وبقرطبة وإشبيلية من غير واحدٍ من شيوخنا. وكان مقدَّماً في اللغة والعربية، شاعراً مُحسناً، وله مقامات من تأليفه...، أخذتُ عنه واستحسنتُ».

قلتُ: قوله: «صاحبنا» من المشترك، ففي اصطلاح أهل الحديث تُطلق ويراد بها أحد معنيين:

---

(١) مصادر ترجمته: «الصلة» لابن بشكوال ٣/ ٨٥٣ (١٢٩٩)، و«بغية الوعاة» للسيوطي ص١٢٠، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة ص١٣٨٢ و١٧٨٥، و«هدية العارفين» للبغداديّ ٢/ ٨٩، و«إيضاح المكنون» له ٢/ ٤٧٩، و«الأعلام» للزركلي ٨/ ٢٢، و«معجم المؤلفين» لكحّالة ١٢/ ١٢٩.

(٢) وقع في مطبوعة كتاب «الصلة» بتحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياريّ: «وتوفي بقرطبة سنة ثمان وثلاثين وستمائة». وهو خطأ ظاهر، فات المحقّق التنبيه عليه وتصحيحه؛ لأن ابن بشكوال نفسه توفي سنة ٥٧٨ هـ، فكيف يكون ابن الأشتركونيّ توفي سنة ٦٣٨ هـ، وقد أرّخ لوفاته؟!

■ القرين من أهل العلم، ممّن بينهم زمالة في الطلب.

■ أن يُطلقها الشيخ على تلميذه، فتكون روايته عنه تكريماً له وتنويهاً بفضله وتقدّمه في العلوم.

ويبدو أنّ ابن بشكوال أراد هنا المعنى الأول، بقرينة قوله: «سمع مِن... غير واحدٍ من شيوخنا»، وقرينة أخرى هي تأخّر وفاة ابن بشكوال عن وفاة ابن الأشتركونيّ كثيراً (ابن الأشتركونيّ: ٥٣٨هـ - ابن بشكوال: ٥٧٨هـ).

ورغم إمامة الرجل وطول باعه في العلوم وتسنّمه الوزارة، إلا أنّ القدر الذي وقفت عليه في مصادر ترجمته لا يتناسب ومكانته العالية في العلم والسياسة، وأنّه كان من نُبلاء عصره!

روى كتابه «المسلسل» عنه العلامة ابنُ خير مباشرة[١].

صنَّف «شرح الكامل للمبرد في اللغة» و«المقامات اللزومية» في خمسين مقامة. قال الأستاذ كحّالة في معجمه: «وعارض الحريريَّ في مقاماته، بخمسين مقامة سماها (المقامات اللزومية-خ[٢]) التزم فيها مالا يلزم في النثر والشعر، نشرت مجلة المقتبس نموذجاً من إحداها، ورأيت في مكتبة الفاتيكان نسخة منها (A372) مشكولةً، جميلة جداً، كتبت ببغداد سنة ٦٥٠ هـ، نقلاً عن نسخة المؤلف».

(١) «فهرسة» ابن خير ٢/ ٤٦٧ (٩١٤).

(٢) قلتُ: وهي اليوم مطبوعة (ط)، نَشَرتها دارُ جدارا للكتاب العالميّ بعمّان الأردنّ وعالم الكتب الحديث بإِرْبِد بتحقيق الدكتور حسن الوراكليّ، والطبعة التي وقفت عليها هي الثانية سنة ٢٠٠٦م، وما وثّقوا بيانات الطبعة الأولى!

طبعات المشجّرات:

نُشرت الطبعات الأولى من المُشجَّرات الثلاثة بين عامي ١٩٥٦ و١٩٥٨م، وإن أُعيد طبع «شجر الدرّ» خصوصاً طبعات عدّة، فقد طُبع «شجر الدُّرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة» لأبي الطيّب عبد الواحد بن عليّ الحلبيّ اللغويّ خمسَ طبعات فيما نعلم، هي:

- طبعة الأستاذ أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة النهضة، ١٩٥٦م. وهذه الطبعة قرأتُ عنها وما اطّلعتُ عليها، للأسف!
- طبعة الأستاذ محمد عبد الجواد، سلسلة ذخائر العرب ٢١، ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٧م، ٢٧٧ صفحة.
- كسابقتها، ط٢، القاهرة ١٩٦٨م، ٢٩٤ صفحة.
- كسابقتها، ط٣، القاهرة ١٩٨٥م، ٢٩٤ صفحة. وهي الطبعة التي بين يديّ، وتاريخ مقدمة تحقيقها: ٢٠ أغسطس ١٩٥٥م.
- وطبعة أُخرى قرأت عنها وما رأيتها، وهي صادرة عن معهد الخرطوم للغة العربية للناطقين بغيرها (تابع للجامعة العربية) برقم ٣١٨٧، ١٩٩٨م، ٢٩٤ صفحة. ويبدو من عدد صفحاتها أنّها إعادة طبع لنشرة الأستاذ محمد عبد الجواد في طبعتها الثانية.

ويبدو لنا أنّها طبعتان فقط، وباقي الطبعات تصوير لطبعة الأستاذ عبد الجواد، فجميعها بعد وفاته، إذ توفي سنة ١٩٦٤م، رحمه الله تعالى!

أمّا «مُداخل» الزاهد، فقد طُبع طبعة واحدة فيما نعلم، وهذه بياناتها:

- «المُداخل في اللغة» للإمام أبي عمر المطرِّز المعروف بالزاهد، قدّم له وحقَّقه وعلّق عليه الأستاذ محمد عبد الجواد. نشر مكتبة الإنجلو المصرية،

القاهرة، بدون رقم الطبعة، وبدون تاريخ، إلا أن المحقّق أرّخ مقدمته في يوليه (يوليو) سنة ١٩٥٦م.

وما أُعيد طبعه أو تصويره، للأسف!

و«مُسلسل» ابن الأشتركونيّ هو الآخر طُبع طبعة واحدة، وهذه بياناتها:

■ «المسلسل في غريب لغة العرب» لأبي طاهر محمد بن يوسف التميميّ، قدّم له وحققه وعلق عليه: محمد عبد الجواد، راجعه: إبراهيم الدسوقي البساطي، سلسلة تراثنا، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ٤١٦ صفحة. بدون رقم الطبعة، وبدون تاريخ، إلا أنّ المحقّق أرّخ مقدمته في ١٧ سبتمبر ١٩٥٧م.

وحالُه في ذلك كحال «المُداخل» في كفّ الناشرين عن طبعه أو تصويره، فيما نعلم!

والحقّ أنّ المُشجَّرات الثلاثة جميعاً جديرةٌ بإعادة التحقيق والنشر، فضلاً عن الطبع أو التصوير، فقد مرَّ على تحقيقها زمن طويل، ظهرت خلاله مخطوطات كُتب كثيرة ذات صلة بموضوعها، بل وثيقة الصلة بها، كما سنرى في صنيع العلامة ابن بنين الدقيقيّ النحويّ في كتابه «اتفاق المباني» واقتباسه لثُلُثي كتاب أبي الطيّب اللغويّ ثمّة، وأهميّة هذا الاقتباس تاريخيّاً، مع تقدّم نُسَخ كتاب ابن بنين، وتأخّر نسخ كتاب اللغويّ التي اعتمدها الأستاذ عبد الجواد، وسيأتي!

وهذا مِن مبرّرات إعادة التحقيق المعروفة اليوم، وليس فيه غمط لجهود المحقّق الأول -لا سمح الله!- بل لا يجوز أن تُغفل جهوده البتّة، فهي جديرة بالحفاوة والتكريم لما فيها مِن عميم الإفادة، مع الذكر بالريادة!

مخطوطات المشجّرات:

أخّرنا الحديث عن النُّسخ المخطوطة من المُشجّرات، وحقّها التقديم على المطبوع؛ لأنَّ مُعتمَدنا في التعريف بها ووصفها على جهود الأستاذ محمّد عبد الجواد في تحقيقاته لها.

وكنتُ آمل أن يتيسّر لي البحث في فهارس المكتبات حول العالم، علّي أجد مطبوعات جديدة لهذه الكُتب، خاصّة وأنَّ تحقيقها الأوّل على نُسخ خطيّة مُتأخّرة جدّاً غالبا. لكنّه عمل كبير يتطلّب وقتاً وجهداً لا أجد لأوّلهما فُسحة، ولا لثانيهما في النفس طاقة، مع كثرة الانشغال وضعف الهمّة. كما أنَّ الأجدر بهذا العمل كلّه مَن سينهضُ لإعادة تحقيقها ثانية، وقد قدّمنا سبباً قوياً لذلك توّا.

وحتّى ينهض لذلك ناهض من ذوي الهِمَم، سنكتفي بما قدّمه لنا الأستاذ عبد الجواد في مُقدّماته لتحقيقات المشجّرات الثلاثة من عرض ووصف، وكما يأتي:

أولاً: «مُداخل» الزاهد

اطّلع مُحقّق المداخل الأستاذ عبد الجواد على خمس نسخ مخطوطة من الكتاب، ذكرها في مقدّمة تحقيقه حسب قدمها[1]، وهي كما يأتي:

■ الأولى: نسخة ناقصة بها (١٣) باباً فقط، كُتِبَت مع أوراق من كتاب «المَدْخَل في المترادف»، موجودة بدار الكتب المصرية، وهي أقدم النسخ جميعاً، تعود لسنة ٥٩٢ هـ . لهذه المخطوطة وللتي بعدها صلةٌ باللغويّ

(١) مقدمة تحقيق «المداخل»، ص٩ فما بعدها.

الكبير ابن خالوَيْهِ. جاء في أولها ما نصّه: «قال أبو العباس أحمد بن الحسين التميميّ: قرأ علينا هذا الكتاب أبو عبد الله بن الحسين بن أحمد بن خالويه، وقرأنا بعضه عليه، قال: أخبرنا به أبو عمر محمّد بن عبد الواحد الزاهد، غلام ثعلب...». لم يذكر المحقّق عدد أوراقها. ووصفها بالقول: «خطّها واضح مضبوط، وبها تعليقات قيمة صحّحت بعض الشواهد»[(١)].

■ الثانية: مصوّرة الجامعة العربية، نُسِخَت بدمشق سنة ٦٣٦ هـ عن نسخة مقروءة ومصحّحة، عليها خطُّ تلميذ ابن خالويه. أبوابها تامّة (٣١) باباً، تقع في (١٠) ورقات ذات صفحتين. انفرد عنوان هذه المخطوطة بالإشارة إلى الغريب (المُداخل من غريب اللغة). وصفها المحقّق بالقول: «لعلّها أضبط النسخ فيما احتوته»[(٢)].

■ الثالثة: نسخة بخطّ الإمام السيوطيّ، انتسخها سنة ٨٦٧هـ . لم يذكر المحقّق عدد أوراقها. وصفها المحقّق قائلاً: «خطّها واضح معجم مشكل في بعض الكلمات، مع الإشارة إلى بعض الزيادات. لم تخلُ من تصحيف أو نقص»[(٣)].

■ الرابعة: نسخة بالظاهريّة بخط العلامة عبد العزيز الميمنيّ انتسخها من مخطوطة مكتبة إيالة رامبُور بالهند وأجرى عليها تصحيحات وقدّمها كأطروحة للمجمع العلمي العربي بدمشق بمناسبة انتخابه عُضواً فيه،

(١) مقدمة تحقيق «المداخل»، ص٩.

(٢) المصدر السابق، ص١٢.

(٣) المصدر ذاته، ص١٢.

نُشِرَت في «مجلّة المجمع» في المجلّد التاسع سنة ١٩٢٩م. بيّن الناشر أنّها نسخة فريدة في (١٣) صفحة، وهي حديثة غير مضبوطة، وإن كان أصلها مصحّحاً، ولا عارية عن الأغلاط. قدّر أنّها كتبت في المائة الثانية عشرةللهجرة الشريفة. ولا أدري ما وجه فرادتها مع كلّ ما تقدّم!!

■ الخامسة: نسخة دار الكتب المصرية الكاملة، كُتِبَت سنة ١٢٠٥هـ. موجودة بالدار ضمن مجموعة من (١٩) كتابا. «لا بأس على خطّها وضبطها وإعجامها، وإن لم تسلم من التصحيف والنقص»[1]. فيها نقص كثير في غير التداخل. أبوابها (٢٩) باباً بإسقاط عنوانين من عناوين الأبواب (هما: الحياء والبرطيل)، مع وجود مادّتهما بذيل البابين اللذين قبلهما. لم يذكر المحقّق عدد أوراقها.

وقد تضمنت مقدّمة التحقيق وصفاً لا بأس به للنسخ، يحسُن الرجوع إليه ثمّة، وإن اكتفى المحقّق بصور نماذج من ورقات المخطوطتين الثانية والثالثة فقط من المخطوطات الخمس، لسبب لم يُفصح عنه!

لم يتَّخذ المحقّق نسخة بعينها أصلاً يَعتمد عليه؛ لنقصٍ في أقدم النسخ، وارتباك الترتيب وكثرة الاختلافات بين بقيّتها.

ثانياً: «شجر الدرّ» لأبي الطيّب اللغويّ

والنُّسخ المخطوطة التي اطّلع عليها المحقّق الأستاذ عبد الجواد من كتاب «شجر الدُّرّ» هي خمس نسخ:

■ الأولى: نسخة بخطّ الإمام السيوطيّ، نَسَخَها سنة ٨٦٧ هـ، وهي السنة التي نسخ فيها مخطوطة كتاب «المُداخل» لأبي عمر الزاهد. تحاتَّ كثير

(١) مقدمة تحقيق «المداخل»، ص١٦.

من ورقها وتآكل، وطمست فيها كثير من الكلمات والحروف. وخطّها غير جيّد، والإعجام فيها ناقص، وكذا الشكل. تقع المخطوطة في (٤٨) صفحة. حسنتها الكبرى التي انفردت بها تصحيحها لِخَرْم أجمع عليه ما عداها من النسخ في مواضع. ومثوى هذه النسخة وقت كتابة مُقدّمة التحقيق مكتبةُ السيّد أحمد خيري بروضة خيري باشا.

- الثانية: نسخة المكتبة الأزهرية، ووصفها بالقول: «وعمرها فوق المائة سنة». تقع هذه النسخة في (١٦) ورقة ذات صفحتين. كتبت بقلم النسخ الدقيق، وإعجامها مستوفًى، وقد يستغرق الشكل فيها حروف بعض الكلمات أو يقتصر على حرف أو حرفين من الحروف المهمّة الشكل.
- الثالثة: نسخة مكتبة طلعت باشا، نُسِخَت سنة ١٣٠٨ هـ. تقع هذه المخطوطة في (٢٠) ورقة ذات صفحتين. مكتوبة بالخطّ الفارسيّ الجيّد. كتابتها واضحة وإعجامها تامّ وشكلها كسابقتها.
- الرابعة: نسخة المكتبة الزكيّة، نُسِخَت سنة ١٣١١ هـ. تقع المخطوطة في (٥٠) صفحة، مكتوبة بخطّ النسخ القريب من القاعدة. سقط منها أربع صفحات، استدركها ناسخ متأخّر.
- الخامسة: نسخة دار المكتبة التيموريّة، كُتِبَت سنة ١٣٢٢ هـ.

قلَّلَ مُحقّق الكتاب من أهمية النسختين الأخيرتين، لانعدام الشكل والإعجام وعلامات الترقيم فيهما، حسب تعبيره. وقد أضاف إليها مُقتبسَ السيوطيّ في «المزهر» وهو نصّ «شجرة العين» من الكتاب، فعدّه أصلاً سادسا[1]. وقد جعل المحقّق نسخة طلعت باشا أصله المُعوّل عليه رغم

---

(١) مقدمة تحقيق «شجر الدُّرّ»، ص٢٥ فما بعدها.

تأخّرها؛ لأنّ نسخة الإمام السيوطيّ طالتها يدُ التحريف الواضح وبدَّدَ شطراً منها نقصٌ ظاهر!

وقد تضمّنت مقدّمة التحقيق وصفاً جيداً للنسخ، يحسُن الرجوع إليه. وكما فعل في «المُداخل»، اكتفى المحقّق بصور نماذج من ورقات ثلاث مخطوطات فقط (هي: السيوطيّ – طلعت – الزكيّة) من المخطوطات الخمس.

ثالثاً: «مُسلسل» ابن الأشتركونيّ

أشار محقّق الكتاب الأستاذ عبد الجواد إلى أنّه اطّلع على ستّ نُسخ مخطوطة للكتاب، وكما يأتي:

■ الأولى: واعتقد أنّها النسخة الأمّ التي نُقل عنها بقيّة النسخ، وهي منقولة بدورها عن نسخةٍ بخطّ الإمام عبد الجبّار المَعافريّ[1] تلميذ المصنّف ابن الأشتركونيّ. والنسخة كُتِبَت سنة ٥٦٥هـ، أي قبل سنة من وفاة المَعافريّ، وبعد سبع وعشرين سنة من وفاة المصنّف.تقع المخطوطة في (١١٠) ورقة ذات صفحتين. وممّا لاحظه عليها المحقّق أنّ خطّها على غير القاعدة، وفي إعجامها وشكلها أشياء غير مألوفة عندنا الآن، مع مخالفة بعض قواعد الإملاء الشائعة.

■الثانية: نسخة مكتبة برلين، كتبت سنة ١٢٤٩هـ .مكتوبة بخطّ يمنيّكبير وواضح، مع الشكل التام والترقيم والفواصل. تقع المخطوطة في (١٢)

---

(١) عبد الجبّار بن محمد بن علي، أبو طالب المَعافريّ، اللغويّ النحويّ. شيخُ «ابن سريّ». توفي سنة (٥٦٦هـ) وهو راجع إلى الغرب. هذه ترجمته كما نقلها المحقّق عن تاريخ ابن حجر.

قلتُ: بل هو شيخ «ابن بَرِّيّ» النحويّ الكبير (ت ٥٨٢هـ)، و«ابن سري» وهم! ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبيّ، ١٢/ ٣٥٢ (٢٢٦).

ورقة تشمل (١٨) صفحة مزخرفة الحواشي.فيها خرم كبير، ويعتقد المحقّق من مراجعته للنصّ فيها وموازنته بالنسخة الأولى أنّها منقولة عنها. في كتابتها خروج عن قواعد الإملاء المعروفة أحياناً، مع سقط بعض الكلمات، وأخطاء في الشكل تخالف قواعد الإعراب.

- الثالثة: نسخة بخطّ العلامة محمد الشنقيطيّ[١]منسوخة سنة ١٢٨٨هـ. هي في مجلّد مع كتاب آخر قبلها بعنوان: «تحفة المُعرب وطرفة المُغرب» للإمام عبد المنعم بن صالح التيميّ النحويّ (ت ٦٣٣هـ). تقع المخطوطة في (٥٣) صفحة، ومكتوبة بخطّ مغربيّ قُحّ. تامّة الإعجام والشكل.
- الرابعة: نسخة بالمكتبة التيموريّة، كتبت سنة ١٣١١هـ .تقع المخطوطة في (١٨٤) صفحة، مكتوبة بخطّ النسخ الجيّد. وهي تامّة الإعجام غير مشكولة.
- الخامسة: وهي أحدث النسخ، كتبها حسين محمّد سنة ١٣٣٦هـ .تقع المخطوطة في (١٨٠) صفحة، وهي مكتوبة بخطّ غير جيّد، ونصّها معجم غير مشكول. قال عنها المحقّق: «لا قيمة لها بعد ما تقدمها من النسخ الأخرى»[٢].

---

(١) الشنقيطيّ (ت ١٣٢٢هـ): محمد محمود بن أحمد بن محمد النـزكزيّ الشنقيطيّ. ولد بشنقيط موريتانية. علاّمة عصره في اللغة والأدب. أمويّ النسب، انتقل إلى المشرق، فأقام بمصر. انتدبته حكومة الأستانة أيام السلطان عبد الحميد الثاني للسفر إلى إسبانية، والاطّلاع على ما فيها من المخطوطات العربية، وإعلامها بما ليس منه في مكتبتها بالأستانة، فقام بذلك. ترجمته في «الأعلام»، ٧/ ٣٠٩-٣١٠.

(٢) مقدمة تحقيق «المسلسل»، ص١٩.

■ السادسة: نسخة الشيخ رفعت فتح الله، وفي تاريخها نظر. تقع المخطوطة في (١٢٠) صفحة، مكتوبة بخطّ النسخ الجيّد صغير الحجم. لم يشكّ المحقّق بأنّها منقولة عن النسخة الأمّ، لمطابقتها إيّاها تمام المطابقة. تامّة الإعجام تقريباً، ومشكولة أحيانا. في معظم الباب الأول شكل مُستحدث بمداد مُغاير، وكذلك شكل الأبيات الشعريّة في الباب الثاني.

وقد تضمّنت مقدّمة التحقيق وصفاً جيداً للنسخ، يحسُن الرجوع إليه[1]. وكما فعل في الكتابين السابقين، اكتفى المحقّق بصور نماذج من ورقات ثلاث مخطوطات فقط (هي: الأمّ – برلين – التيموريّة) من المخطوطات الستّ.

نماذج من المشجَّرات:

اخترتُ في هذا المطلب أن أقدّم بين يدي القارئ الكريم نماذج من المشجَّرات المعروفة، بإدراج قطعة من كلٍّ منها، وذلك لسببين اثنين:

الأوّل: لأخفّفَ على القارئ الكريم عناءَ البحث عن هذه الكتب، وجميعها طُبع قديماً، كما بيّنتُ توّا.

والسبب الثاني، وهو الأهم: لإجراء بعض الإحصاءات المهمة على المشجّرات بين يدي دراستها والموازنة بينها، وسيأتي بعد.

والاطّلاع على وحدة موضوعية كاملة من أيّ كتاب –كأن تكون باباً كاملاً منه أو عدّة أبواب– يُعطي تصوراً لا بأس به عن بِنية الكتاب ومحتواه، ليكتمل التصور بالدراسة التحليلية المقارنة.

---

(١) مقدمة تحقيق «المسلسل»، ص١٠ فما بعدها.

وقد حرصتُ هنا على اختيار ثلاث قِطَع متساوية في المقدار تقريباً[1]، منتخبة انتخاباً عشوائياً، تمهيداً لإجراء تلك الإحصاءات عليها في الفصل الرابع (صلة المُشَجَّر بعلوم اللغة وفنونها).

والقطعة المختارة من كتاب «المُداخل» للمطرِّز تضمُّ عشرة أبواب، هي: (٢) الكِربز و(٣) الفِرسكة و(١٧) اللعا و(١٨) البِرطيل و(١٩) السَّندل و(٢٠) الدَّفو و(٢١) العُريج و(٢٥) القتع و(٢٨) القَسورة و(٢٩) الهُلج.

بينما ضمّت القطعة المختارة من «شجر الدُّرّ» لأبي الطيّب اللغويّ: شجرة العين (٤) بفروعها الثمانية جميعا.

أما «مُسلسل» ابن الأشتركونيّ، فقد اخترتُ منه الأبواب: الأول والرابع والتاسع والعاشر.

ورغم اقتباسي هنا لنصوص مُحقَّقة من المشجرات الثلاثة، إلا أنني علَّقتُ على بعض المواضع؛ لأنّني رأيتها تستأهل التعليق من جهة، ودفعاً للسآمة والملل من جهة ثانية.

وقد وجدتُ اختلافاتٍ مُعتبرة بين نصّ «شجرة العين» التي ساقها الإمام السيوطيّ في «المزهر» كمثال على المشجّر، وبين النصّ المحقّق في «شجر الدُّرّ» الذي اعتمد الأستاذ عبد الجواد في تحقيقه على نُسخة الإمام السيوطيّ بين عدد من النسخ، لكنَّه لم يُشِر إلى تلك الاختلافات. بل تكاد تكون القطعة التي في «المزهر» منزوعة الشواهد، فهل كان الإمام السيوطيّ يُملي في المزهر

(١) العدد الكليّ لكلمات القطع الثلاث –وليس المفردات– هو: (٣٢١٠) كلمات، منها: (١٠٥٢) في قطعة «المداخل»، و(١٠٨٢) في قطعة «شجر الدّرّ»، و(١٠٧٦) في قطعة «المسلسل».

من نُسخة أخرى غير نُسخته التي اعتمد عليها محقق «شجر الدُّرّ»، أمّ أنّه تركها تخفّفاً؟!

كلاهما مُحتمل، والأوّل مستبعد برأيي!

وإليكم القطع الثلاث من المشجّرات، حسب ترتيبها المعروف: «المداخل» فـ «شجر الدرّ» فـ «المسلسل»..



القطعة الأولى: من كتاب «المُداخل»

(٢) باب الكِرْبز[١]

قال: وأخبرنا ثعلبُ عن ابن الأعرابي، قال: الكِربز: القثّاء الكبار، والكبار: جمع الكَبَر، والكَبَر: الطَّبْل، والطَّبْل: السَّدّ، والسَّدّ: السَّلَّة، والسَّلَّة: النّاقة لم يبق لها سن من الكِبَر، أي: الهرم، والسنّ: الثّور، والثّور: السيّد، والسيّد: الزّوج، والزّوج: النمط من الدّيباج، والدّيباج: النّاقة اللّينة المسّ، والمسّ: الجنون، والجنون: ستر الليل وسواد اللّيل أيضاً، واللّيل: فرخ الكَرَوان. «قال أبو عمر: قال المبرّد: وجمع الكَرَوان: كِرْوان، وكذلك الباب كلّه». أنشدني أبو أحمد الكاتب، قال: أنشدني الحريريّ هذا:

أكلتُ النَّهار بِنصف النّهارِ وليلاً أكلتُ بليلٍ بَهِيمِ

والنّهار: فرخ الحُبارَى، واللّيل: فرخ الكَرَوان، والسَّلَّة أيضاً: السّرقة، والسَّرِقة والسَّرَقة (بالفتح): واحدة السَّرِق والسَّرَق :الحرير الأبيض، والأبيض: عِرْق في القَفا. وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابي قوله:

لاَيَتَشَكَّى ضربانَ أبيضِهْ قَرِيبةٌ نُدوتُه مِن محمَضِهْ

المحمض: الموضع الذي يُرعى فيه الحَمض، والنُّدوة: الشربة بين الرعيتين. «قال النُّدوة: أكلة بين شربتين للإبل، والمحْمض: موضع الحمض».

***

(١) «المُداخل»، ص٢٧.

(٣) باب الفِرْسِكة[١]

أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ، قال: الفِرْسِكة: الخَوْخة، والخوخة: الثّوب الأحمر، والأحمر: الذي لا سلاح معه، والسِّلاح: شحم الإبل، والشّحم: البياض، والبياض: اللّبن، واللّبن: وجع العُنُق من الوسادة، والعُنُق: جماعة من النّاس، والنّاس: قبيلة، والقبيلة: «يقال: رأيت أنساناً من الناس»، والقبيلة: الرقعة يُرقَّع بها قب القميص، والقَميص: غلاف القلب، والقلب: العَقْل، والعقل: ضرب من الوَشْي، والوشي: كلام الواشي بين المُحبِّين، والواشي: ضَرّاب الدّنانير، وجمعه وشاة. وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ:

فَمَا هِبرِزِيٌّ من دنَانير أَيلةٍ ... بأيدِي الوشاة ناصعٌ يتأكّلُ
بِأحسن منهُ يومَ أصبح غادياً ... ونفَّسَنِي فِيـهِ الحِـمام المُعجَّلُ

«قال أبو عمر: نفّسني، أعني: رغَّبني فيه، ونافسني: راغبني. ومنه قول الله – عز وجل – : ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٢]، أي: فليتراغب المتراغبون.

***

(١) «المُداخل»، ص٣٠.

(٢) المطففين:٢٦.

(١٧) باب اللَّعا[١]

قال أبو عمر: أخبرنا ثعلبُ، عن عمرو، عن أبيه، قال: اللَّعا: النعشةُ، والنعشة: النهضة، والنهضة: العَتَبة، والعَتَبة: حمارة الطُّنْبور، والحمارة: واحدة الحمائر، وهي حجارة تُجعل حول الحوض. وأنشدنا أبو عمر:

ومُبْلِدٍ بين مَـومـاة ومَهْلكَـة جاوزتـه بعَـلاة الخَلْق عِليان

كأنما الشحْط في أعلى حمـائره سـبايب الريط من قَزٍّ وكَتَّان

«أراد: مُلْبداً، وهو الحوض القديم، وعَلاة الخَلْق: قوية الخلق. والعلاة: سندان الحداد، عِليان: سريعة، والشَّحْط: ذَرْق الطير، شبهه بشقاق بيض، فقال: هذا الماء على بُعده وهجر الناس له، قد جئته واستقيت منه».

والحوض: الحركة، والحركة: منع البحر الصيد، والصيد: ما يصاب بطلب، فيؤخذ باليد، ومنه قوله تعالى:﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾[٢]. قال: أيديكم: بيض النعام، ورماحكم: حُمُر الوحش. والصيد: الماء يُصاب بلا طلب، والطلب: البُعْد، والبُعْد: الهلاك، والهلاك: الفَناء، والفَناء: الثناء في بعض اللغات[٣]، والثناء: المدح والذمّ، وأنشد[٤]:

---

(١) «المُداخل»، ص٦٢.

(٢) المائدة: ٩٤.

(٣) قال مُحقق «المداخل» هنا: «لعلها من سوء السمع أو لثغة».

(٤) الراجح أن قوله: «أنشدنا أبو عمر» و«أنشد»، ليست من أصل الكتاب، وأنها زيادة من تلميذ أبي عمر الزّاهد، علّقها على إحدى النسخ، خاصةً وأنَّ الأبيات الثلاثة الواردة بعد القولين من زيادات نسخة الجامعة العربية، والله تعالى أعلم!

أَثـني عليّ بمـا علمتِ، فإنَّني أُثْني عليكِ بمثل رِيح الجَوْرَبِ

والثناء: المدح، والمدح: خلاف الذمّ[1]، والذمّ: جمع ذَمَّة، وهي البئر القليلة الماء. وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي:

أُرجّي نائلاً من سَيْب رَعي لـه نُعْمى وذَمَّته سِجَالُ

ويروى: وذِمَّته بالكسر، ومن روى: وذَمَّته بالفتح، أراد ماء البئر، يعني: قليلة وكثيرة. وسجال مع فتح الذال: الدِّلاء، واحدها سَجْل: وهي الدلو الكبيرة. ومن روى بالكسر، أي كسر الذال، أراد ذِمامه وأمانه وخَيره. وسجال: ضروب من الخير، وذِمَّته أيضاً: عقده، أي عقده وثيق، من سجّل القاضي العهد: إذا وثَّقه، ويقال: صِدتُ ماءً وصِدتُ ظبياً: إذا أخذته بالعجلة.

***

(١) قوله: «والثناء: المدح والذم... إلخ» طريف، فالمشهور ما أورده بعدُ من أن «الثناء: المدح»، بل «الثناء: مدحٌ مكرَّر» كما في فروق أبي هلال العسكري، الفرق (٦٠)، ص٦٣. وقد نقل المحقق عن الفيروزآباديّ في «القاموس المحيط» قوله: «وصف بمدح أو ذمّ أو خاصّ بالمدح».

قلتُ: فالثناء مثل الطَّرَب، فالطرب يكون في السرور والحزن، كذلك الثناء يكون في المدح والذمّ. قال في «مختار الصحاح» (طرب): «الطرب خِفَّةٌ تصيب الإنسان لشدَّة حُزنٍ أو سرور». و«الثاء والنون والياء» أصلٌ واحد يفيد تكرير الشيء مرتين، كما في «مقاييس اللغة» لابن فارس ١/ ٢٠٠. فكما أن المدح يكرر فيكون ثناءً، كذلك الذم يكرر فيكون مثله، ويمكن أن يكون استعمال الثناء في البيت من الاستعارة أو التهكّم.

(١٨) باب البِرْطِــيل(١)

قال: وأخبرنا ثعلبُ عن ابن الأعرابي، عن عمرو، عن أبيه، قال: البِرْطِيل: الحجَر، والحجَر: الذّهب، والذّهب: مكيال لأهل اليمن، والمِكْيالُ: المَجازاة، يُقال: كِلْتُ له أَكِيلُ كيلاً إذا جازيته، والكَيْلُ: السعر، يقال: كيف الكيلُ عندكم؟ أي: كيف السعر؟ وأنشدنا ثعلب، عن عمرو، عن أبيه:

فإن تكُ فِي كيلِ اليمامةِ عُسرةٌ فَــما كيلُ مَيّافارقينَ بأعسرَا

***

(١٩) باب السَّنْدل(٢)

قال أبو عمر: أخبرنا ثعلبُ، عن عمرو، عن أبيه، قال: السَّنْدَل: جورب الخُف، والخُفُّ: الجَمَلُ المُسِنّ، والجمل: دابّة في البحر يقال لها الكُبَع، وتقول الجاريةُ للأخرى وهي تُسابُّها: يا وجه الكُبَع! وذلك أن الكُبَع دابة طويلة الوجه هائلة من دواب البحر، والبحر: الماء المِلْح، والمِلح: الإرضاع، يقال: ملَحنا في بني فلان وملحوا فينا: أي رضعناهم وأرضعناهم. والإرضاع: الوِصَال، يقال: أرضعت الشيء بالشيء: إذا وصلته به. وأنشدنا ثعلب، عن عمرو، عن أبيه:

ونُرضع حاجةً بلبان أخرى كذاك الحاجُ يُرْضَع باللِبان

اللبان: للناس، واللبن: للبهائم.

***

---

(١) «المُداخل»، ص٦٥.

(٢) «المُداخل»، ص٦٦.

(٢٠) باب الدَّفْو (بلا همز)[١]

قال أبو عُمر: أخبرنا ثَعلَبُ، عن ابن نجْدة، عن أبي زيد، قال: الدفو، غير مهموز: القتلُ، والقتل: المَزجُ (مزج الشراب)، والمزجُ: العَسَل، والعَسَل[٢]: اضطراب القصبة إذا حُرِّكَتْ، والقصبة: النّالة، والنّالة: وسط المِجدل، والمجدل: القصر، والقصر: المنع والحبس، يُقال: قصر جاريته؛ إذا منعها من التبرُّج، فهو قاصِرٌ، وهي مقْصُورة وقَصِيرة وقَصُورَة. وأنشدنا ثعلب، عن ابن الأعرابي:

وأنتِ التي حبَّبْتِ كلَّ قصيرة ... إليَّ، ولم تعلم بذاك القصائرُ
عنيتُ قصيراتِ الجمال ولم أُرد ... قصارَ الخُطا، شرّ النساء البهاترُ[٣]

قال ثعلبُ، عن ابن الأعرابي: البهاتر والبحاتر: القصائر.

قال القاضي: يُقال: بُحْترة وبُهترة[٤].

***

(١) المصدر السابق، ص٦٧.

(٢) كلاهما بفتحتين (عَسَل). انظر «مقاييس اللغة» لابن فارس (عسل) ٢/ ٢٦٣ و٢٦٤.

(٣) الشعرُ لكُثيّر عزَّة، وهو كُثيّر بن عبد الرحمن الخُزاعيّ، من فحول الشعراء (ت ١٠٧ هـ). ترجمته في «طبقات» ابن سلاّم ص١٦٥ وغيرها.

(٤) قال الزَّبيديّ في «تاج العروس» (بُهتُر): وهي القصيرة القوائم من النياق.

(٢١) باب العُرَيْج[١]

قال أبو عُمر: أخبرنا ثَعلَبُ، عن ابن الأعرابي، قال: العُرَيْج: كلب الصيد، والصيد: أخذ الشيء بلا تعب، يقال: صدت ظبياً وصدت بيضة وصدتُ كمأة: إذا أخذتَ ذلك بلا تعب، والأخَذ: نجوم منازل القمر كلّ ليلة، والقمر: بؤبؤ العين، والعين: خاصة الملك ووليُّه.

قال ابن الأعرابيّ: ومنه خبر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، أنه كان يطوف بالبيت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! إن عليّاً لطم عيني.

فوقف عمر، حتى جاءه عليّ -كرم الله وجهه!-، فقال: يا أبا الحسن! ألطمت عين هذا؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين!

قـال: ولِـمَ يا أبا الحسن؟

قال: لأنّي رأيته ينظر إلى حُرَم المسلمين في الطواف.

فقال له عمر: أحسنت! ثم أقبل على الملطوم، فقال له: وقعتْ عليك عينٌ من عيون الله تعالى.

قال أبو العباس ثعلب: فسألت ابن الأعرابيّ عنها[٢]، فقال: خاصّة من خواصّ الله - عز وجل - ووليٌّ من أوليائه وحبيب من أحبائه.

---

(١) «المُداخل»، ص٦٩.

(٢) قلتُ: يعني سأله عن صحَّة الرواية، وعن جواز فعل عليٍّ بلطمه الرجل في الحَرَم، وموافقة عمر له على ذلك إن صحَّت. ولازم تفسير ابن الأعرابي أنّه يُصحّح الرواية، لكنه يجعله حُكْماً خاصاً بهما لا يمكن تعميمه، وحُجّته في ذلك أنَّ علياً من خواصّ الله وأوليائه وأحبائه.
والخبر علّقه المُحبّ الطبريّ عن محمّد بن زياد ابن الأعرابيّ في «ذخائر العُقبى في مناقب ذوي القُربى» ص١٤٩ و١٥٠، وفي «الرياض النضرة في مناقب العشرة» ٣/ ١٤١ (١٤٦٠) و(١٤٦١)، وأورده عبد الرؤوف المناويّ في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» ٤/ ٣٥٧ عند شرح الحديث (٥٥٩٤).

والعين: عين الرَّكِيَّة، والركيّة: أصلُ الصِّلِّيانة إذا قُطعت، والقطع: الخَنْق، مصدر خنقْتُه خنقا.

***

(٢٥) باب القَتَع[1]

قال: وأخبرنا ثعلب عن عمرو عن أبيه، قال: القَتَع: الدّود، والدّود: الحَصَف، والحَصَف: إحكام فَتْل الحبل، والحبل: العهد، والعهد: العَقْد، والعَقْد: الجمل القصير القوائم الطّويل السّنام، فإذا مشى مع الجمال قصر عن طولها، وإذا برك معها طالها لطول سنامه. وأنشدنا ثعلب عن عمرو عن أبيه:

أرسَلتُ فِيهَا زَجلاً لُكالِكا   يَقصُرُ يَمشِي ويَطُولُ بَارِكَا

قال ثعلب: الزّجل الصّوت، والزَّجِل من الجِمال: الذي يصيح، واللُكالِك: العظيم الخلق.

***

(٢٨) باب القَسْوَرَة[2]

قال أبو عمر: وأخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: القَسورة: ظُلمة اللّيل، واللّيل: فرخ الكَروان، والكروان: ضرب من الطّير، والضّرب: الرّجل بين الرّجلين لا طويل ولا قصير، والقصير: الممنوع. يُقال: قصره

(١) «المُداخل»، ص٧٩.

(٢) «المُداخل»، ص٨٤.

قصراً، أي: منعه منعاً. والمنع: السَّرطان، وقد مضى ذكره. والسَّرطان: داء يعرض في السّاق، والسّاق: النّفس، والنّفس: الدَّم، والدَّم: الطّلاء بالقطران، والطّلاء: الخيط. وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابي، فقال:

ما زال مُذ فرَّق عنه خُلّبُهْ — له من اللومِ طلاءٌ يجذِبُهْ

***

(٢٩) باب الهَلْج[1]

أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: الهَلْج: أحلام نايم، وأحلام نايم: ثياب غِلاظ كانت تُعمل بالمدينة واحدها: ثوب، والثّوب: القلب، والقلب: العقل، والعقل: الرّقم، والرّقم: الرّوضة، والرّوضة: الماء يبقى في الحوض. وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي:

ورَوضةٍ سقيتُ منها نَضوتي

***

(١) المصدر السابق، ص٨٥.

القطعة الثانية: من كتاب «شجَر الدُّر»

شجرة (٤)[١]

شجرة-العين: عينُ الوَجْه، والوَجْه: القَصْد، والقصد: الكَسْر، والكَسْر: جانب الخِباء، والخباء: مصدر خابأتُ الرجلَ؛ إذا خبَّأتَ له خبأ وخبَّأ لك مثلَه، والخَبْء: السحاب من قوله تعالى:﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢].

والسَّحاب: اسم عِمامة كانتْ للنبيﷺ، والنّبي: التلّ العالي، والتلّ: مصدرُ التَّليل وهو المصروع على وجهه، والتليل: صَفْح العُنُق، قال الراجز:

جاباً ترى تَليلَه مُسَحَّجا

والعنق: الرِّجْلُ من الجراد، والرِّجْل: العَهْد، يقال: كان ذلك على رِجْل الحجّاج، أي على عهده. والعَهْد: المطر المُعَاود، والمُعَاود: المريض الذي يَعُودك في مَرضك وتعوده في مرضه، والمريض: الشاكّ، والمرض في القلب: الشكّ. وفي التنزيل:﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[٣]، والشاكّ: الطاعن، يُقال: شكّه إذا طَعَنه، والطَّاعِن: الدَّاخلِ في السنّ، والسِّنّ: قرنٌ من كلأ أي قِطْعة، والقَرْن: الأمّة من الناس، والأمة: الحِينُ من الدهر، قال الراجز:

عُمِّروا أمَّةً من الدهـر فيها آهـلاتٍ أعـزَّ قوم جَنابا

---

(١) «شجر الدُّرّ»، ص١٦١-١٩١.

(٢) النمل: ٢٥.

(٣) البقرة: ١٠.

والحِينُ: حَلْبُ الناقة من الوقت إلى الوقت، والحَلَبُ: ماء السماء، والسماء: سَقْفُ البيت، والبَيْت: زوج الرّجل، والزوج: النمط من فرش الدّيباج، والفَرْش: أفْتاء[1] الإبل من قوله تعالى:﴿وَمِنَ الْأَنْعَام حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾[2]، والإبل: قال المفسرون في قوله تعالى:﴿أَفَلَا يَنْظُرُوْنَ إِلَى الْإِبَلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[3]، قالوا: الغيم[4]، والغيم: الصَّدَى من العطش، والصَّدى: ما تحتوي عليه الهامَة

(١) أفْتاءُ الأبل يعني صغارها. وفي «المزهر» هنا: «والفرْش: صغار الإبل من قوله تعالى ﴿حَمُوْلَةً وَفَرْشًا﴾...».

(٢) الأنعام: ١٤٢.

(٣) الغاشية: ١٧.

(٤) قلتُ: قُرئت «الإبل» في هذه الآية المباركة بكسر الباء –وهي قراءة جمهور القُرّاء– وإسكانها، مع تخفيف اللام فيهما (الإِبِلِ – الإِبْلِ)، وبكسر الباء وتشديد اللام (الإِبِلِّ). وفسَّرها أهل العلم بمعنيين، الأوّل: أنّ المراد به اسم جمع لا واحد له للدآبّة المعروفة، والثاني: السَّحاب.
قال السيّد المرتضى الزَّبيديّ في «التاج»: «وقال أبو عَمْرو في قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيفَ خُلِقَتْ﴾: الإِبِل: السَّحابُ الذي يَحْمِلُ ماءَ المَطَرِ، وهو مجاز. وقال أبو عَمْرِو بنُ العَلاءِ: من قَرَأَها بالتَّخْفِيفِ أَرادَ به البَعِيرَ...، ومَنْ قَرَأَها بالتَّثْقِيلِ، قالَ: الإِبِلُّ: السَّحابُ التي تَحْمِلُ الماءَ للمَطَرِ، انتهى ملخَّصا.
وأقول: ممّن قرأها بالتثقيل «أُبَيُّ بن كعب، وعائشة، وأبو المتوكل، والجحدريّ، وابن السّميع، ويونس بن حبيب وهارون كلاهما، عن أبي عمرو»، كما في زاد المسير ٤/ ٤٣٦، للإمام ابن الجوزيّ.
وعبارة «وهو مجاز» من كلام الزَّبيديّ، وليست لأبي عمرو، وحكاه قبله الإمام الزَّمخشريّ في الكشّاف عن بعضهم، وأنّهم جوّزوه على سبيل التشبيه والمجاز، لمّا رأوا السحاب مُشبَّهًا بالإبل كثيراً في أشعارهم، يعني العرب. =

من الدَّماغ، والهامَة: جمع هايم، وهو: العَطْشان، وكذلك الأهيم والأنثى هيماء، وفي التنزيل:﴿فَشَارِبُوْنَ شُرْبَ الْهِيْمِ﴾[١]. قال الشاعر:

فأصبحتُ كالهَيْماء لا الماءُ قاطعٌ صداها، ولا يَقْضِي عليها هُيامُها

والهايم: السائح في الأرض، والسائح: الصائم من قوله عزَّ وجل: ﴿الْحَامِدُوْنَ السَّائِحُوْنَ الرَّاكِعُوْنَ السَّاجِدُوْنَ﴾[٢]، والصائم: القايم، والقايم: صَوْمَعَة الرَّاهب، والرَّاهب: المتخوّف، والمتخوّف: الذي يَقْتَطِعُ مالَ غيره فينتقصه، ومنه قوله تعالى:﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾[٣]، أي: تنقُّص. والمال: الرّجل ذو الغنى والثّراء، والثّراء: كثرةُ الأهل، والأهل: الخليق، يُقال: فلان أهلٌ لكذا: أي خَلِيق به. والخَليق: المخلوق أي المقدّر، يُقال: خلقتُ الشيءَ إذا قدرته، وينشد:

=ولا يستقيم القول بالمجاز على الرّواية التي تُفرّق بين المخفَّف والمثقَّل، فالمجاز هو صرف «اللفظ» عن معناه الظّاهر إلى معنًى مرجوح بقرينة، فلمّا خُصّ كلّ معنى من المعنيين بلفظ مُغاير؛ انتفى المجاز هنا.

نعم، هو مجاز على الرّواية الأولى؛ إن قَصد به المخفَّف وجعله بمعنى السحاب، كأبي العبّاس المبرّد، فيما نقله عنه أبو حيّان الأندلسيّ في البحر المحيط.

وأبو عمرو يفرّق بين اللفظين، فقد روى عنه ابن خالويهِ قوله: «مَن قرأ بالتشديد؛ أراد به السَّحاب»، فهذا نصّ ضابط للرواية الأولى، ويعني أنّه لا يُسوّي بين اللفظين في المعنى، بل يخصّ المُثقّل بمعنى السّحاب، والله تعالى أعلم!

(١) الواقعة: ٥٥.

(٢) التوبة: ١١٢.

(٣) النحل: ٤٧.

وأراكَ تَفْري ما خلقت وبعضُ القــومِ يخـلقُ، ثمَّ لا يَفْريْ

والمخلوق: الكلام الزّور، والزور: القوة، والقوّة: الطاقة من طاقات الحبْل، والطاقة: المَقْدرة، والمقدرة: اليَسار، واليَسار: خِلاف اليمين، واليمين: الأَلِيَّة، والأليّة: التقصير، والتَّقْصِير: قص الشعر، بخلاف الحَلْق، والحَلْق: الذبح، ويروى هذا البيت:

يُرى ناصحاً فيما بدا، فإذا خلا فذلك سِكّينٌ على الحَلْق حالِقُ

أي: ذابحُ، ويروى: حاذقٌ، والحاذقُ: القاطع. والحالق: الذابحُ.

والذَّبْح: الشَّقُّ، والشق: شِدّةُ الأمر على الإنسان، والشدّة: الجلَد، والجَلد: الحزْم من الأرض، والحزْم: شدّة حِزام الفرس، والحِزام: مصدر تحازم الرَّجلان إذا تباريا، أيُّهما أحْزم للخيل، أي: أحذق بحزمها. والأحزم: الأحكم في الأمور، والأحكم: الأمنع، يقال: الحدُّ أحكم للزانـي، أي أمنع له من المعاودة. والأمنع: الجانب المَنِيع، والمنيع: الشيء الممنوع ممّن طلبه، قال الشاعر:

فلاقَوْا دونه طوداً منيعاً

والطّلب: القوم الطالبون، والقَوْم: الرجل القائم، والقائم: المُصَلِّي، والمصلّي من الخيل: الذي يجيء بعد السابق في الجَرْي، والجري: الإفاضة في الأخبار، والإفاضة: الانكفاء من قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[1]. والانْكفاء: انكباب الإناء، والانكباب: دُنوّ الصدر من الأرض، والصَّدْر: الرئيس، والرئيس: المصاب في رأسه بِسَهْم، قال الشاعر:

---

(١) البقرة: ١٩٩.

ويقتل نفسَه إن لـم يَنَلْها فَـحُقَّ لـه رئيس أو بعيجُ

والسهم: القِسْط من الشيء، والقسط: العَدْل، والعَدْل: المَيْل، والمَيْل: الحُبّ، والحبّ: آنية من الجَرِّ، والجَرّ: سَفْح الجبل، والسّفح: الصّب، والصّب: الدَّنِفُ مِن عِشْقٍ به، والدَّنَف: العِلّة، والعلة: السبب، قال الشاعر:

أنختُ بها الوَجْناء من غير علَّةٍ لثنتين بين اثنين: آتٍ وذاهبِ

والسَّبب: الحبل، والحبل: صيد العصفور بالحِبالة، والعُصْفُور: غُرّة دقيقة في جبين الفرس، والغُرّة: أول ليلةٍ يُرَى فيها الهلال، والهلال: الرّحى المَثْلومَة، والرَّحى: سيّد القبيلة، والقبيلة: واحد شؤون الرأس، والشؤون: الأحوال، والأحوال: جمع حالة، والحالة: الكارة، قال الراجز:

قد أركبُ الآلةَ بعد الآلةْ وأحمـلُ الحالةَ بعد الحالةْ

وأترُكُ العاجز بالجـدالـةْ مُنْـعَفِرَاً ليست له مَحَالةْ

والكارة: جمع كائر، وهو الذي يكوّر عمامته على رأسه، والرأس: فارس القوم، والفارس: الكاسر فرسه السّبع، وافترسه أي كسره، والكاسر: العُقاب، والعُقَاب: رَاية الجَيْش، والجَيْش: جَيَشَان النّفْس، والنّفس: مِلْءُ كفٍّ مِن دِباغ، والكفُّ: خياطة كُفَّة الثوب، والثوب: نَفْسُ الإنسان، والإنسان: الناس كلّهم، قال الراجز:

وعصبةٍ بيتهُمُ مِن عدنان بها هدَى اللهُ جميعَ الإنسان

من الضلال وهمُ كالعُميان

أي: جميع الناس.

فرع (١) والعين: عين الشمس، والشمس: شِمَاس الخَيْل، والخيل: الوَهْم، والوَهْم: الجمل الكبير، والجمل: دابّة من دوابِّ البحر، قال الشاعر:

ويَأوي إلى أوطانِه الجَمَلُ الوَهْمُ

والبحر: الماء المِلح[١]، والمِلْحُ: الحُرمة، والحرمة: ما كان للإنسان حراماً على غيْره، وحرام: حيٌّ من العرب، والحيُّ: ضد الميت، قال الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادي

فرع (٢) والعين: النقْد، والنقْد: ضربك أُذُنَ الرجل أو أَنفَه بإصبعك، والأُذُن: الرجلُ القابلُ لما يَسْمَع[٢]، والقابل: الذي يأخذ الدّلوَ من الماتِح[٣]، والدَّلْو: السير الرفيق، قال الراجز:

لا تَقْلُواها وادْلُوَاها دَلْوا ... إن مـع اليوم أخاه غَدْوا

والرفيق: الصاحب، والصاحب: السيف، والسيف: مصدر ساف مالُه إذا أوْدَى، وأودى الرجل: إذا خرج من إحليله الوَدْيُّ، والوَدِيّ: الفسيل. قال الشاعر:

جُلنْدى الذي أعطى الوَدِيَّ بحَمْلها ... مُسَجَّرة من بين فَرْضٍ وبلْعَقِ

---

(١) قارن بها في باب السَّنْدَل من «المداخل»، فتسلسل تعريفات الجمل والبحر والملح منه.

(٢) قلتُ: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾، التوبة: ٦١.

(٣) الماتح: هو الذي يملأ الدلوَ من أعلى البئر، والمائح: هو الذي يملأه من أسفل البئر. وانظر تعليق محقق «شجر الدّرّ» في الهامش (٥) من ص١٧٢ و١٧٣.

فرع (٣) والعين: موضع انفجار الماء، والانفجار: انشقاقُ عمودِ الصُّبح، والصُّبح: جمعُ أصبح وهو لَوْن من ألوان الأُسود، واللون: الضَّرْب من الضروب، والضَّرْب: الرجل المهزول. قال الشاعر:

أنا الرجلُ الضَّرْبُ الذي تعرفونَهُ خَشاشٌ كرأسِ الحيَّةِ المتوقِّد

والمهزول: الفقير، والفقير: المكسور فِقَر الظَّهْر، والفِقَر: النوادر، والنوادر: أُنوف الجبال، والأنوف: الأوائل من كلّ شيء والواحد أُنف بضم الهمزة. قال الشاعر:

قد غدا يحملني في أُنفِهِ لاحقُ الإِطْلَين مَحبُوكٌ مُمَرّ

أي: في أول جريه، وهو الأُنُف بضمتين أيضا.

فرع (٤) والعين: عَيْنُ الميزان، والميزان: برج في السماء، والسماء: أعلى متن الفرس، والمَتْن: الصُّلب من الأرض، والأرض: قوايم الدابة. قال الشاعر:

إذا ما استحمَّت أرضه من سَمائه جَرَى وهو مودوعٌ، وواعدُ مصدقِ

والقوايم: جمع قائمة وهي السارية، والسارية: المُزْنة تنشأ ليلاً، والليل: فرخ الكَرَوان، والفرخ: ما اشَتَملتْ عليه قبائلُ الرأس من الدِّماغ، والقبائل: العرب دون الأحْياء. قال الشاعر:

وكانت لهُم رِبعيَّةٌ يعرفونها إذا خَضْخَضْت ماءَ السماء القبائلُ

فرع (٥) والعين: مطر لا يُقْلع أياماً، ومطر: حَيّ من أحياء العرب، والأحياء: جمع حَياء الناقة، والحياء: الاستحياء، والاستحياء: الاستبقاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[1]، وقال الشاعر:

تباطأْتُ أَسْتَحيي الحياةَ، فلم أجد   لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدَّما

والاستبقاء: التماس النّظرة، والالتماس: الجِماع، يقال: لمس امرأته والتمسها، كناية عن الجماع، والجِماع: ضدّ الفِراق، والفِراق: جمع فَرَق وهو ظرف يسع سِتّين رطلاً، والفرق: جمع فارق، والفارِق من النُّوق والأُتُن: التي تذهب على وجهها عند الوِلادة، لا يُدْرَى أين تُنتج! قال الراجز:

ومَنْجَنُونٍ كالأتان الفارقِ   من أثلِ بينَ العَرْضِ والمفارقِ

فرع (٦) والعين: رَئيس القوم، والرئيس: المُصاب في رأسه بعصاً أو غيرها، والرأس: زعيم القبيلة أي سيّدها، والزَّعيم: الصَّبير أي الكفيل، والصبير: السحَاب الأبيض المُتراكِم أعناقاً في الهواء. قال الراجز:

يا سَلْم، أسقاكِ الصبيرُ الوامض   هل لكِ والعرض منك عايضُ

في هجمةٍ يُغدر منها القابضُ

والأعناق: جمع عُنُق، والعنق: الرِّجْل من الجراد، والرِّجل: العَهْد، والعَهْد: المطر الأول في السنة، والأول: يوم الأحد في لغة أهل الجاهلية، وأنشدوا:

---

(١) البقرة: ٤٩.

أؤمّلُ أن أعيشَ، وإنَّ يومي ... بأوّلُ أو بأهونُ أو جُبارِ
أو التالي دُبارٍ، أو فيومي ... بمُونِسَ أو عَرُوبةَ أو شِيارِ[1]

روى أبو بكر بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة والأصمعيّ وأبي زيد، كلهم قالوا: حدثنا يونس بن حبيب، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كانت العرب في الجاهلية تُسمِّي الأحد: الأوْل، والاثنين: الأهون، وبعضهم يقول: الأهور، والثلاثاء: جُبَاراً، والأربعاء: دُباراً، والخميس: مُؤْنساً، والجمعة: العَرُوبة، وبعضهم يقول: عَرُوبة فلا يُعرِّفها، والسبت: شِيارا. وقال قوم: العرب تسمّي العيد: العروبة، وبه سمّيت الجمعة: العروبة. وأنشدوا للقطاميّ:

نفسي الفداء لأقوامٍ هُمُ خلطوا ... يومَ العَروبة أوراداً بأورادِ

فرع (٧) والعين: نفس الشيء، والنفس: ملء الكف من دِباغ، والكفّ: الذَّب، والذَّب: الثّور الوَحْشيّ، والثور: قشور القصب تعلو على وَجه الماء، وأنشدوا:

كذاكَ الثورُ يُضرب بالهِراوى ... إذا ما عافتِ البقرَ الظّباءُ

والقَصَب: رِهان الخيل، والرِّهان: المُرَاهنة من الرُّهُون، والمراهنة: المقاومة.. يُقال: فلان يراهنُ فلاناً، أي: يُقاومِه، والمُقاومة مع الرَّجُل: أن تذكر قومك ويذكر قومَه، تتفاخران بذلك، والقَوم: القيام. قال الراجز:

---

(١) روايةُ هذين البيتين في «المُسلسل» مختلفة، وقد مرَّت معنا في الفقرة الثالثة من الفصل الثالث، في حديثنا عن منهج ابن الأشتركونيّ في كتابه «المُسلسل»، وهما فيه ص٣٢٥.

يا قوم، قد أحرَقْتموني باللَّوم — وبالقعودِ تارةً وبالقَوْم
ولم أُقاتل عامراً قبل اليوم — شتّان هذا والعناقُ والنوم
والمشربُ الباردُ في الظلّ الدَّوم

فرع (٨) والعين: الذّهب، والذَّهب: زوال العَقْل[١]، يُقال: ذهب الرجل ذَهَباً، إذا تحيّر وزال عقله، والعَقْلُ: الشدّ، عقلتُ الناقة إذا شددتُ يدها، والشدّ: الإحكام، والإحكام: الكفّ والمَنْع. قال الأصمعي: وقرأت في بعض كُتب الخلفاء الأُول: «فأحكم بني فلان، أي: امنعهم وكفَّهم»، وأنشد لجرير:

أ بني حنيفةَ، أحكِمُوا سفهاءَكم — إنّي أخاف عليكُمُ أن أغضبا

والكفّ: قدَم الطائر، والقدم: الثُّبوت، والثبوت: جمع ثَبْتٍ من الرِّجال وهو الشّجاع، والشجاع: الحَيَّة، والحيّة: شجاع القبيلة، يُقال: فلانٌ حيّةٌ ذكر؛ إذا كان شُجاعاً جريئا. قال الشاعر:

وإن رأيتَ بِوادٍ حيّةً ذَكَرا — فاذهب ودَعْنى أُمارس حَيَّة الوَادِي

***

(١) قلتُ: ومنه قول أبي الطيّب المتنبي يهجو القاضي الذهبيّ:
سُمِّيتَ بالذَّهبيّ اليوم تسميةً — مُشتقَّة من ذهاب العقل، لا الذهبِ

القطعة الثالثة: من كتاب «المسلسل»

الباب الأول[1]

أنشد أبو عبيدة لصبيان الأعراب، وتروى لامرئ القيس بن حُجْر:

لمن زُحلوقةٌ زُلُّ   بها العينان تنهلُّ
يُنادي الآخرُ الأُلُّ   ألا حُلّوا،ألا حلّوا!

ويُروى: ألا خَلُّوا ألا خَلُّوا، ويُروى: زحلوقة، بالقاف والفاء والكاف.

الأُلُّ: الأول، وأوَّل: يوم الأحد، والأحد: هو الوَحَد، والوَحَد: الفَرَد، والفَرَد: الثَّور، والثور: الظهور، والظُّهور: الغلبة، والغلبة: جمع غالب، وغالب: أبو لؤيّ. قال حسّان بن ثابت:

عقيلةُ حيٍّ من لؤيّ بن غالبِ   كرام المساعي، مجدُهم غير زائلِ

ولؤيّ: تصغيراللأى، واللأى: الثور، والثور: فحل البقر، والبقَر: الفَرق، والفَرَق: تباعد ما بين الثنايا، والثنايا: العِقاب، والعقاب: الموالاة، والموالاة: المظاهرة، والمظاهرة: لبس ثوب على ثوب، والثَّوب: الرجوع، والرجوع: الكَرّ، والكرّ: حبل النخل، والنخل: الخيار، والخيار: الحُكم، والحكم: الحكمة. قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[2]، والحكمة: العِلم والعَدل، والعدل: القيمة، والقيمة: الثَّمن، والثمن: العِوَض، والعوض:

(١) «المسلسل»، ص٣٧-٤٦.

(٢) مريم: ١٢.

البَدَل، والبدل: الخَلَف، والخلف: الجبر، والجبر: إصلاح الكسر، والكِسرُ: جانب البيت، والبيت: الزوج. قال العجّاج:

ما لي إذا أنزِعها صَأَيْتُ أكِبَرٌ غيَّرني أم بَيْتُ؟!

والزوج: النَّمَط. قال عنترة:

يتبعنَ قُلَّةَ رأسهِ، وكأنّهُ زوجٌ على حَرَجٍ لهُنَّ مُخَيَّمِ

والنمطُ من الناس: الضَّرب، والضرب من الرجال: الممشوق القدّ، والقدّ: قطع السير، والسَّير: سرعة المشي، والمَشي: سعيُ الواشي، والواشي: المُحسّن، والمحسّن: اسم إنسان، والإنسان: ضي العين، والعين: خاصّة الملك، والملك: الصَّيدَن، والصيدن: الثعلب، والثعلب: ما يدخل السّنان من القناة، والقناة: القامة. قال الكنديّ:

سِباطُ البنانِ والعَرانين والقَنا لطاف الخُصُورِ في شمامٍ وإكمالِ

والقامة: جمع قائم، والقائم: مقبض السيف. قال الفرزدق:

وقلتُ له لمّا تكثَّر ضاحكاً وقائمُ سيفي مِن يدي بمكانِ

والسيف: الضرب به، والضرب: الذهاب في الأرض. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[1]، والأرض: الرعدة، ومنه قول ابن عبّاس: «أزُلزلت الأرض أم بي أَرض؟!». والرعدة: الرعش، والرَّعش: سرعة الظليم، والظليم: اللبن قبل الرّوب. قال الشاعر:

---

(١) النساء: ١٠١.

وقائلةٍ: ظلمتُ لكم سِقائي، وهل يخفى على العَكر الظّليمُ؟

والرّوب: خُثارة النّفس من كثرة النَّوم. قال بشر بن أبي حازم الأسديّ:

فأمّا تميمٌ، تميمُ بن مُرّ فألفاهم القومُ رَوبَى نياما

والنوم: الكرى، والكرا: طائر، والطائر: عمل العامل، وعليه تأوّلوا قوله تعالى: ﴿قَالُوْا طَائِرُكُم مَّعَكُم﴾[1]، والعامل من الرمح: الصدر، والصدر من كلّ شيء: الأوّل. قال جعفر بن عُلْبة الحارثيّ:

لهم صدرُ سيفي يومَ صحراء سَحْبَل ولي منهُ ما ضُمَّت عليهِ الأناملُ

***

الباب الرابع[2]

قال أبو وجزة السعديّ:

أمّا الوشاح، فلا ينفكُّ رهمسةً ولا تكلم في ذاكَ الخلاخيلُ

الرَّهسمة والرهمسة: السِّواد، والسواد: السِّرار، ومنه قول بنت الخُسّ:

طولُ السِّواد وقُرب الوِساد

وقال عنترة:

ألا أبلغ بني العُشراء عنّي علانية، فقد ذهب السِّرارُ

---

(١) يس: ١٩.

(٢) «المسلسل»، ص٦٤-٦٨.

والسِّرار والسَّرار: آخر الشهر. قال الصِّمَّة:

شهورٌ ينقضين وما شعرنا بأنصافٍ لهُنَّ ولا سِرارِ

والشَّهر: الإظهار، والإظهار: الدخول في وقت الظهيرة، والظهيرة: الناقة القوية الظهر، والظهر: الإبل تحمل الأثقال، والأثقال: المتاع. قال زهير:

لها متاعٌ وأعوانٌ غدونَ بهِ قِتبٌ وغَربٌ، إذا ما أفرِغَ انسحقا

والمتاعُ: الفَرْج، والفرج: الثغر، والثغر: الأسنان. قال جميل:

تجود علينا بالحديث وتارةً تجود علينا بالرُّضاب من الثغرِ

والأسنان: الأقران، والأقران: الحِبال، والحبال: الأسباب، والأسباب: جمع سِبّ، وهي الخُمر، والخمر: الخُصُر، والخُصُر والحصْر: احتباس البطن، والبطن: المطئنّمن الأرض، والأرض: القوائم، والقوائم: جمع قائمة، والقائمة: الواقفة، والواقفة: عمود الخِباء، والخباء: سِمة خفيّة، والخفيّة: البئر الصغيرة، والصغيرة: أُنثى الصغير، والصغير: الصبيّ، والصبيّ: قائم السيف، والسيف: اللُّجّ، واللجّ: معظم البحر، والبحر: الشقّ –بحرتُ الأُذُن والشيء بحراً: شققتها–، والشقّ: الصدع، والصدع من الرجال: الضرب، والضرب: وقوع الضَّريب، والضريب: المَثيل، والمثيل: النابه القَدْر، والقدر من الرجال: الوَسَط، والوسط: العدل، والعدل عن الطريق: الجور، والجور: خلاف القصد، والقصد: خلاف السرَف، والسرف: الخطأ، والخطأ: خلاف القصد، والقصد من الرجال: الضَّرب، والضرب: السَّحل، والسحل: الصبّ، والصب: المشتاق. قال جميل:

فلم أرَ مثلَ بُثنة ذات دلٍّ يُعاتبها على وصلٍ خليلُ
أقلَّ عطيّة منها لصبٍّ لها منهُ المودّةُ والقبولُ

والمشتاق: الغَرِض، والغرض: الغريض، والغريض: الطريُّ الغضّ، والغضّ: الغضيض. قال عُبيد بن الأبرص:

إذا حرّكته الساقُ، قلتَ: مُحنَّبٌ غضيض غَذته عَهدة وسروحُ

والغضيض: النظر الكسير. قال كُثيّر:

ألا تلك عزَّةُ قد أقبلت تُقلّب للهجرِ طرفاً غَضِيضا

***

الباب التاسع(1)

أنشَدَ أبو زيد لسعد بن ميّادة:

أجـدَّ فراقُ الناقمـيَّةِ غُـدْوةً أَمِ البـينُ يحلو لي لمن هو مُولَعُ؟!
لقد كنتُ أهوى الناقمـيَّةَ حِقبَةً فـقد جـعَلَتْ آسان بينٍ تقطَّعُ

الآسانُ: المَشابِهُ، وهي هنا القُوَى، والقوى: جمع قوَّة، والقوة: طاقة من طاقات الحبل، والحبلُ: المستطيلُ من الرَّمْل، والرَّمَلُ: ضرب من السعي، والسعي: الحرش، والحرش: الصيد، والصيد: ما أخذته عفواً، والعفو: الصفح، والصفح: الجانب، والجانب: الغريب، والغريب: النـزيع، والنـزيع: السهم، والسهم: النصيب، والنصيب: حجارة حول شفير

(1) «المسلسل»، ص٩٩-١٠١.

الحوض، والحوض الصغير: الخَريص والخَرص، والخَرص: الجائع المقرور، والمقرور: الخَصِر، والخصر من الماء: البارد العذب، والعذب: ضد الفظيع، والفظيع: الكريه الذوق، والذوق: العذْف، والعدف: الأصل، والأصل: العيص، والعيص: منبت الشجر. قال الأخرم السِّنْبسيُّ:

بها قُضُبٌ هندوانية وعيصٌ تَزاءرُ فيها الأسود

والشجر: ما قام من النبتِ على ساق، والساق: عظم القدم. قال طَرَفَة:

للفتى عقْلٌ يعيش بهِ حيثُ تهدي ساقَه قدَمُه

والقدم: السابقة، والسابقة: الفَرَطُ، والفرط: المتقدِّمون إلى الماء[1]، وقال أبو النجْم:

ومَنْهلٍ وردتُهُ التقاطا لم ألقَ إذ وردته فُرَّاطا

إلا الحَمامَ الوُرق والغَطاطا فهُنَّ يُلْغِطنَ بهِ إلغاطا

***

الباب العاشر[2]

قال حُمَيدُ بن ثور الهلاليّ:

تورَّط فيها دُخَّلُ الصيف بالضُّحى ذرى هدباتٍ فرعُهنّ وَريقُ

---

(١) ومنه قوله ﷺ: «أنا فَرَطُكم على الحوض...» أي مُتقدِّمكم إليه. أخرجه البخاري (٦٥٧٥) ومسلم (٢٢٩٧). وانظر النهاية لابن الأثير (فرط) ٣/ ٤٣٤.

(٢) «المسلسل»، ص١٠٢-١٠٩.

الدُّخَّل: طائر أصغر من العصفور، قال الحجاج:

لـوْذَ العصافير ولوذَ الـدُّخَّل تحـت العِضاهِ من خَرير الأَجْدَل

والعصفور: السيد، والسيد: البَدْء. قال أوس بن مَغراء:

ترى ثِـنانا إذا ما جاء بدْءَهم وبـدؤهم إن أتانا؛ كـان ثُنيانا

والبدءُ: خلاف العَوْدِ. قال طرفة:

حُسامٌ إذا ما قمتُ منتصراً به كفى العَوْدَ منهُ البدءُ ليس بمِعْضَدِ

والعَوْد: الطريق المُعبَّد. قال طرفة:

تُـباري عِتاقاً ناجياتٍ وأتبَعَتْ وظيفاً وظيفاً فـوق مَوْرٍ مُعَبَّدِ

والمُعَبَّد: المذلَّل. قال طرفة أيضاً:

إلـى أن تحامَتْني العشيرةُ كلُّها وأفـردتُ إفرادَ البعير المعبّدِ

والمذلل: الدُّعْبوب. قال أبو داود:

يا فتًى ما قتلتمُ غير دعبوب ولا من قُـوارَة الهِـنَّبرِ

والدُّعبوب: حبَّة سوداء، والسوداء: حبَّة القلب. قال قيس بن الخطيم:

يكونُ لـه عِندي إذا ما ضَمِنتُهُ مـكانٌ بسوداء الفؤادِ كنِينُ

والقلبُ: قلبُ النخلة، والنخلة: العَذْقُ، والعذقُ: الوَسم، والوسم: النار، ومنه قول الراجز:

قد سُقيت أبالُـهم بالنارِ والنارُ قد تَشْـفي من الأُوَارِ

والنار: السَّكن. قال الراجز:

وسَكنٍ توقد في مِظَلة

والسكنُ: ما سكنت إليه من أهل وخُلة، والخلة: الخليل، والخليل: الفقير، والفقير: القِرْضاب. قال رجل من بني نصر بن قُعَيْن:

ولـزازِهِم في كلِّ يومِ كريهةٍ　　　وثِمالِ كلّ مُعصَّبٍ قِرضابِ

والقِرْضاب: السيف الماضي، والماضي: الذاهب، والذاهب: الغابر، والغابر: الباقي، والباقي: الكالِيء، والكالِيء: الواقي، والواقي: الصُّرَد. قال المُرَقَّم:

ولقد غدوتُ، وكنت لا　　　أغدو على واقٍ وحـاتم

والصُّرَد: عرق تحت اللسان. قال زياد:

وأيُّ الناسِ أغدرُ من شآمٍ　　　له صُرَدانِ منطلقا اللسانِ

واللسان: المِقولُ، والمقول: القَيْلُ، والقيلُ: الإقالة، والإقالة: الخِيار، والخيار من الناس: خلاف الشِّرار، والشرار: الخصام، والخصام: تَنَازع الخصوم، والخصوم: جمع خصم، والخصم: الجانب، والجانب: القائد، والقائد: أنْف الجبَل، والجبل: العَمُود، والعمود: السيّد، والسيّد: الهامَة، والهامة: الرأس الضَّخم، والضخم: العَيثوم، والعيثوم: أنثى الفيل، والفيل: ذو الرأي الفائل، والفائل: عِرْق، والعرق: الأصل، والأصل: السِّنخ، والسنخ: مَدْخَل النَّصل في السَّهم، والسَّهم: الحظ، والحظ: البخت، والبخت: الجدّ، والجدّ: أبو الأب. قال سنان بن الفحْل الطائي:

فـإنَّ الماء ماءُ أبي وجَدّي　　　وبـئري ذو حفَرْتُ وذو طويتُ

الفصل الثالث

مناهج المصنِّفين في المُشَجَّراتوالموازنة بينها

الفصل الثالث

مناهج المصنِّفين في المُشَجَّرات والموازنة بينها

تمهيد:

لا ريب أنَّ معرفة مناهج المصنِّفين في علم من العلوم أو فنّ من الفنون يُقرِّبُ مادَّة تلك المصنفات للقارئ، ويوقفه على حُرِّ مكنوناتها، مع تمام فائدةٍ واختصار جهد. وهي مع ترجمة المصنّف وفهارس الكتاب توفّر الإحاطة به، إحاطة تكاد تكون تامّة، تبعاً لدقَّة نتائج دراسة المنهج[١].

فما هو منهج كلّ كتاب من كتُب المُشَجّر الثلاثة؟!

أولاً: منهج المطرِّز في كتابه «المُداخل»

واسم الكتاب على التحقيق: «المداخل في اللغة»[٢]. كذا أثبته محقّق الكتاب. وعنوانه في إحدى النسخ (مصوّرة الجامعة العربيّة): «المداخل من غريب اللغة».

---

(١) أقول: «تكاد تكون تامَّة»، لأنَّ الإحاطة التامة لا تكون إلا بالاطلاع على أقوال النقّاد في الكتاب وتذييلاتهم عليه، وغير ذلك من الأثر الذي يتركه الكتاب في الساحة العلمية قبولاً أو ردّا.

(٢) وكذا سمّاه المرتضى الزَّبيديّ في «تاج العروس» ١١/ ٣٠١٠، قال: وقال المطرّز في كتاب «المداخل في اللغة» له: «ويقال للخوخ أيضاً: الأشعر، وجمعه شعر، مثل أحمر وحمر».

وقد طُبِع الكتاب مرةً واحدة -فيما أعلم- بتحقيق الأستاذ المحقق محمد عبدالجواد، في القاهرة سنة ١٩٥٨م. ويلاحظ هنا أنه نشرَ الكتابين الآخرين (شجر الدرّ والمسلسل) قبل المُداخل رغم أنه أسبق منهما، وربما كان ذلك لأسباب فنية تتعلق بتوفر مخطوطات وغيره.

والكتاب يقع في واحدٍ وثلاثين باباً، مُعنونة بأوَّل كلمة في سلسلة الباب. رواها مؤلفه محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرِّز -كلّها- عن شيخه ثعلب.

وجدير بالذكر هنا، أنَّ مِنَ اللغويين المُحدَثين مَن شكَّك في صحَّة نسبة الكتاب إلى المطرّز، ومنهم الأستاذ محمد شوقي أمين، المحرّر بالمجمع اللغوي بالقاهرة[١]،«لأنَّ المطَّلع عليه والمحقّق في سنده يرى -كما يرى في كتابه العشرات في اللغة- أنَّ الإمام الزاهد راوٍ عن شيخه ثعلب، فحقٌّ أن يكون الكتاب لثعلب لا لتلميذه أبي عمر الزاهد. على أنَّه يعود فيظنّ أنَّ أبا عمر كان يتلقَّى فصول الكتاب في مجالس متفرّقة، فعمد إليها ونظمها، وكوَّنها كتاباً مستقلاً، وهذا هو عمله الذي ابتكره، وأثره الذي نسب إليه»[٢].

قلتُ: إن المحقّق في نسبة الكتاب للزاهد، يراه يبدأ كلَّ باب من أبواب الكتاب الواحد والثلاثين بسياقة إسناده إلى صاحب الباب، جميعاً من طريق ثعلب، ثم يسرد الباب بتمامه تحت ذاك الإسناد.

---

(١) أفاده محقِّقُ الكتاب الأستاذ محمد عبد الجوّاد في مقدمة تحقيقه، ص٨.

(٢) مقدمة تحقيق «المداخل»، ص٨.

وثعلب يروي تارةً عن ابن الأعرابي[1]...

وأخرى عن عمرو عن أبيه[2]...

وثالثة عن ابن نجدة[3] عن أبي زيد[4]...

---

(١) ابن الأعرابـيّ (١٥٠-٢٣١هـ): أبو عبد الله، محمد بن زياد بن الأعرابيّ الهاشميّ -مولاهم- الأحول. إمام اللغة والنسّابة. يروي عن قوم فيهم أبو معاوية الضَّرير، وعنه إبراهيم الحربيّ وعثمان الدارميّ وثعلب وآخرون. ولد بالكوفة وتوفي بسامراء. ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبيّ ١٠/ ٦٨٧ وغيره.

(٢) أبو عمرو (٩٦-٢٠٦هـ): هو إسحاق بن مِرار الشيبانيّ اللغويّ. من الأئمة الأعلام في فنونه، وهي اللغة والشعر. أخذ عن جماعة: كأبي عبيد، وأحمد بن حنبل، وابن السكّيت. كان الغالب عليه النوادر وحفظ الغريب وأراجيز العرب. وله ابنٌ اشتهر أيضاً في الأدب واللغة، وكان قد أخذ عن أبيه، وهو الراوي عنه هنا. ترجمته في «وفيات الأعيان» ١/ ٢٠١-٢٠٢ (٨٦) وغيره.

(٣) ابن نَجْدة: لم أقف له على ترجمة في كُتب الرجال والتراجم العامة مما وصلت إليه يدي رغم طول البحث، ووقفت في «أبجد العلوم» للقِنَّوْجي ٣/ ٥٠ على الآتي: «قال أبو الطيّب اللغويّ: كان ثعلب يعتمد على ابن الأعرابي في اللغة، وعلى سَلَمة بن عاصم في النحو، ويروي عن ابن أبي نجدة كتب أبي زيد...».

قلتُ: وهو تصحيف في «أبجد العلوم»، لأنَّني وقفت على عشرات الروايات التي يرويها ابن نجدة هذا عن أبي زيد الأنصاريّ في «غريب الحديث» للخطّابي و«لسان العرب» لابن منظور، وذكره فيها: «ابن نجدة» وليس «ابن أبي نجدة».

وقد علّق شيخنا الحَمْش على المسوّدة هنا بقوله: «لعلّه عبد الوهاب ابن نجدة الحُوطيّ أو ابنه أحمد، راجع تهذيب الكمال».

(٤) أبو زيد (١١٩-٢١٥هـ): هو سعيد بن أوس الأنصاريّ البصريّ. من أئمة الأدب، وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب. كان ثقةً يرى القَدَر. ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٩/ ٤٩٤ (١٨٦).

أو عن سلمة[١] عن الفرّاء[٢]...

والمستقرئ لتلك الأسانيد يجدُ أنَّ أغلب الأبواب بالرواية عن ثعلب عن ابن الأعرابي، وهي عشرون باباً..

وستة أبواب عن ثعلب عن عمرو عن أبيه..

وثلاثة أبواب عن ثعلب عن ابن نجدة عن أبي زيد..

وباب واحد عن سلمة عن الفرّاء[٣].

وكلّ صيغ تحمّل أبي عمر الزاهد عن ثعلب جاءت بالإخبار، وتردَّدت بعد ثعلب بين الإخبار والعنعنة.

والمدقّقُ في تلك الصيغ يجد أنّ الزّاهد كان يسمع الباب الواحد كاملاً بقراءة أحد أقرانه على شيخه ثعلب[٤] أو بقراءته هو على الشيخ. والزاهد

---

(١) سلمة بن عاصم النحوي (١٦٢-٢٤٠هـ): أخذ عن الفرَّاء وروى عنه كتبه، وأخذ عنه أبو العبّاس ثعلب. كان ثقةً ثبتاً عالماً. ترجمته في «الفهرست»، ص١٠١.

(٢) الفرّاء (١٤٤-٢٠٧هـ): هو أبو زكريا، يحيى بن زياد، ولقِّب بالفراء لأنه كان يفري الكلام (يعني لفصاحته) مولى بني أسد، من أهل الكوفة. أخذ عن الكسائيّ. كان إماماً ثقة. ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ١١٨ (١٢) وغيره.

(٣) كنت قد أزمعت إجراء هذه الإحصاءات، غير أنَّني وجدتها في مقدمة المحقق الأستاذ عبدالجواد. وقد تتبعتها بعده، فكانت دقيقةً سوى إسقاطه لاسم «أبي زيد» من إسناد ثعلب عن ابن نجدة، والصحيح: بروايته عن ابن نجدة عن أبي زيد الأنصاريّ، ولعلَّه من عمل الطابع. وانظر «المداخل» ص٧-٨.

(٤) قال ابن وَهْب (ت ١٩٧هـ): «... وإذا قلتُ: أخبرنا، فهو ما قُرئ على المحدّث وأنا أسمع...». أفاده الدكتور صُبحي الصالح في «علوم الحديث ومصطلحه» ص٩١. وعبدالله ابن وهب، هو صاحب مالك بن أنس. ترجمته في «تذكرة الحفاظ» للذهبي ١/ ٣٠٤-٣٠٦.

وشيخه ثعلب من المُحدثين، كما تقدّم في ترجمتهما. ثمّ إنهما من رجال القرن الثالث الهجريّ الذي توضَّعت فيه صيغ التحمّل والأداء في الرواية واتضحت دلالاتها الاصطلاحيّة.

والراجح عندي أن الكتاب لثعلب تصنيفاً وجمعاً وليس هو للزاهد، فمدار أسانيد الأبواب جميعاً على ثعلب، والزاهد دون المدار، ويروي أبوابه الباب تلو الباب بصيغة الإخبار عن شيخه.

أما مادة الكتاب، فليس لثعلب فيها إلا النقل؛ لأنَّه يروي الباب بتمامه بتداخل مفرداته وسياقة شواهده عن أحد مشايخه، أو عن شيخ شيخه.

وأوّل باب في الكتاب بابُ الطَّليل[١] وقد نقلنا للتوّ أوله.

وآخر باب فيه بابُ الغَوّاس[٢]، قال في أوله بعد سياقة الإسناد كعادته: «الغَوّاس: تَشْنيخُ سعف النخل، والسعف: جهاز العروس، والعروس: المعروف من المرأة والرجل، والمعروف: ضدّ المنكر... إلخ».

أما شواهد الكتاب الشعرية، فبلغت ستة وخمسين شاهداً، بين بيت تامّ وشطر بيت، أولها في الباب الأول ص٢٤ للأفوه الأوديّ[٣]:

لما رأتْ سِرّي تغيَّر وانثنى   من بعد نهمة بشرها حين انثنى

---

(١) انظره في ص٢٣ من «المداخل»، والطَّليلُ بوزن أمير: الخَلَق، والحصير. القاموس (طلل).

(٢) «المداخل»، ص٨٨.

(٣) هو صلاّءة بن عمرو، من مذحج، يُكْنى أبا ربيعة. من كبار شعراء الجاهلية. وهو القائل:

لا يصلحُ القومُ فوضى لا سَرَاة لهم   ولا سَـراةَ؛ إذا جُـهّالُهم سـادوا!

ترجمته في «طبقات الشعراء» لابن قتيبة، ص٣٢.

وآخرها في الباب الأخير ص٨٨ ولم ينسبه، ولم أقف على قائله:

إلا بزعزاعٍ يُسلّى همي   يسقط منه فَتَخي في كُمّي

والكتابُ لطيف الحجم، لم يلتزم فيه مصنِّفُه غيرَ تسلسل الألفاظ لتداخل معانيها.لكنَّ المصنّف شرح أكثر الشواهد الشعريّة في الكتاب، وإخال الشارح هنا المُطرِّز بقرينة التصريح باسمه في بعض الموارد.

وإليكم هنا بعض الأمثلة على شرح الشواهد الشعريّة في الكتاب:

قال في باب الكِربز: «وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابي قوله:

لاَيَتَشَكَّى ضربانَ أبيضِهْ   قَرِيبةٌ نُدوتُه مِن محمَضِهْ

المحمض: الموضع الذي يُرعى فيه الحَمض، والنُّدوة: الشربة بين الرعيتين...»[1].

وقال في باب الفِرسكة: «وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ:

فَمَا هِبرِزِيٌّ من دنَانير أَيلةٍ   بأيدِي الوشاة ناصعٌ يتأكّلُ

بِأحسن منهُ يومَ أصبح غادياً   ونفَّسَنِيفِيهِ الحِمام المُعجَّلُ

قال أبو عمر: نفّسني، أعني: رغَّبني فيه، ونافسني: راغبني. ومنه قول الله – عز وجل –: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[2]، أي: فليتراغب المتراغبون»[3].

---

(١) «المداخل»، ص٢٨.

(٢) المطففين:٢٦.

(٣) «المداخل»، ص٣١.

وقال في باب اللَّعا: «وأنشدنا أبو عمر:

ومُبْلِدٍ بين مَـومـاة ومَهْلكَـة	جاوزتـه بعَـلاة الخَلْق عِليان
كأنما الشحْط في أعلى حمـائره	سـبايب الريط من قَزٍّ وكَتَّان

أراد: مُلْبداً، وهو الحوض القديم، وعَلاة الخَلْق: قوية الخلق. والعلاة: سندان الحداد، عِليان: سريعة، والشَّحْط: ذَرْق الطير، شبهه بشقاق بيض، فقال: هذا الماء على بُعده وهجر الناس له، قد جئته واستقيت منه»(١).

وفي باب اللّعا أيضاً: «وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي:

أُرجّي نائلاً من سَيْب رَعي	لـه نُعْمى وذَمَّته سِجَالُ

ويروى: وذِمَّته بالكسر، ومن روى: وذَمَّته بالفتح، أراد ماء البئر، يعني: قليلة وكثيرة. وسجال مع فتح الذال: الدِّلاء، واحدها سَجْل: وهي الدلو الكبيرة. ومن روى بالكسر، أي كسر الذال، أراد ذِمامه وأمانه وخَيره. وسجال: ضروب من الخير، وذِمَّته أيضاً: عقده، أي عقده وثيق، من سجّل القاضي العهد: إذا وثّقه، ويقال: صِدتُ ماءً وصِدتُ ظبياً: إذا أخذته بالعجلة»(٢).

وهذه إضافة جليلة قدّمها المُطرِّز لقارئيه، من إمام في اللغة والأدب. فقد شرح ثمانية موارد من أصل اثني عشر مورداً في القطعة التي اخترناها من مُداخله، استشهد فيها لغريبه ببيت فذّ أو نُتفة من الشعر.

---

(١) المصدر السابق، ص٦٣.

(٢) «المداخل»، ص٦٤.

هذا، والكتاب جدير بدراسة مُستَقصية، تكمّل الجوانب التي أغفلها محقّقه الأستاذ عبد الجواد وأغفلناها هنا، فهو سفر جليل يستأهل الحفاوة والدرس.

ثانياً: منهج اللغويّ في كتابه «شجر الدّر»

واسم الكتاب على ما أثبته محقّقه: «شجرُ الدرّ في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة».

غير أنَّ أبا الطيّب نفسه يقول في مستهلّ كتابه ما نصّه: «هذا كتاب مُداخلة الكلام للمعاني المختلفة سمّيناه: كتاب شجر الدرّ...»، فاسم الكتاب الذي وضعه أبو الطيّب هو «شجرُ الدرّ»، وهو الذي نصّ عليه الإمام السيوطي في «المزهر»[١] ويبدو أن النُّسّاخ استنبطوا عنوان الكتاب المفصّل من مقدّمة مصنّفه، فقدّموا وأخّروا.

وأما عن بِنية الكتاب، فقد صرَّح أبو الطيّب في مقدمته بسبب تسمية الكتاب بـ«شجر الدرّ»، وأفصح عن منهجه فيه، قائلاً: «هذا كتاب مُداخلة الكلام للمعاني المختلفة، سمّيناه كتاب شجر الدرّ؛ لأننا ترجمنا كلَّ باب منه بشجرة، وجعلنا لها فروعاً، فكل شجرة مائة كلمة أصلُها كلمة واحدة، وكل فرع عشر كلمات، إلا شجرة ختمنا بها الكتاب، عدد كلماتها خمسمائة كلمة أصلها كلمة واحدة...»[٢].

---

(١) «المزهر»، ص٤٥٤.

(٢) «شجر الدرّ»، ص٦١-٦٢.

وأوَّل الكتاب شجرةُ الصحن، قال في أولها: «الصحنُ: قدح النبيذ، والنبيذ: الشيء المنبوذ، والمنبوذ: اللقيط... إلخ».

وفيها أول شاهد شعري لرُؤبَة بن العجّاج[1]:

قد سرت نِضْوَي سفرٍ أنضاهما   تجشُّـمُ الأهـوال في سُراهما

وآخره شجرةُ الصِّنَّبْر، قال في أولها: «الصنّبر: البرد، والبرد: السحل، والسحل: الضرب، والضرب: الناحل... إلخ».

وآخر شواهد الكتاب الشعرية في الشجرة الخامسة، قول الشاعر (كذا من غير نسبة لقائله):

تلْقَ السوابقَ مَينا والمُصلِّينا

وليس هو قول ذي الرّمَّة[2] في الشجرة السادسة الأخيرة[3]:

ونفري سديف السَّحم والماءُ جامسُ

فقد نقله أبو الطيّب ضمنَ اعتراض الأصمعيّ عليه في معنى الجمل، مع أنّه بمعنى الجمود، لا استشهاداً به، والفرق كبير بين الأمَرين، كما هو معلوم!

---

(١) رُؤبة بن العَجّاج (... - ١٤٥هـ): والعجّاج هو عبد الله بن رؤبة. من بني مالك بن سعد بن مناة بن تميم. هو وأبوه شاعران غلب عليهما الرَّجَز. قال الخليل، لمّا مات رؤبة: «دفنّا الشعر واللغة والفصاحة». ترجمته في «الأعلام» للزركليّ، ٣/ ٣٤.

(٢) ذو الرّمَّة (٧٧-١١٧هـ): غيلان بن عُقبة. من فحول الطبقة الثانية من شعراء عصره ومن عُشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحب ميَّة بنت فلان. مُعاصر للفرزدق. ترجمته في «طبقات» ابن قُتيبة، ص١٢٦-١٢٩، و«الأعلام» ٥/ ١٢٤.

(٣) «شجر الدرّ»، ص٢٤٥.

وربما وقع لأبي الطيّب اللغويّ في مُشجّره إسناد روايته لبعض المادّة اللغويّة عن الأئمّة، كالرواية التي علّقها عن أبي بكر بن دُريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة والأصمعيّ وأبي زيد، كلهم قالوا: حدثنا يونس بن حبيب، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: «كانت العرب في الجاهلية تُسمِّي الأحد: الأوْل، والاثنين: الأهون، وبعضهم يقول: الأهور، والثلاثاء: جُبَاراً، والأربعاء: دُباراً، والخميس: مُؤْنساً، والجمعة: العَرُوبة، وبعضهم يقول: عَرُوبة فلا يُعرِّفها، والسبت: شِيارا. وقال قوم: العرب تسمّي العيد: العروبة، وبه سمّيت الجمعة: العروبة»[1].

لكنَّ ذلك قليل جدّاً، بل نادر في كتابه!

واقتباسه من «المداخل» لبعض مادّة كتابه ظاهر لمن تتبّع، كما في الأمثلة الآتية:

قال في «شجرة العين»: «والزوج: النمط من فرش الديباج».

وفي باب الكربز من «المداخل»: «والزّوج: النمط من الدّيباج».

وقال في فرع (٤): «والليل: فرخ الكَرَوان».

وفي باب الكِربز من «المداخل»: «واللّيل: فرخ الكَرَوان».

وقال في الفرع (١) من «شجرة العين»: «والبحر: الماء المِلْح».

وفي باب السندل من «المداخل»: «والبحر: الماء المِلْح».

... إلخ.

---

(١) «شجر الدّرّ»، ص١٨٦.

وقد جاء كتابه فذَّاً في بنائه، بِدْعاً في صَنعته، على ما سيأتي في الموازنة بينه وبين المعروف من المشجَّرات الأَخرى، إن شاء الله!

ثالثاً: منهج ابن الأشتركونيّ في كتابه «المُسلسل»

وها نحن نصل إلى ثالث كتاب من كتُب المُشَجَّر المحفوظة، صَنْعَة أبي الطاهر التميميّ السرقسطيّ، المعروف بابن الأشتركونيّ. واسم الكتاب فيما أثبته المحقّق: «المُسلسل في غريب لغة العرب».

وأنفسُ مخطوطاتِ الكتاب منقولة عن نُسخةٍ بخطّ تلميذ المصنّف عبدالجبّار المَعافريّ اللغويّ (ت ٥٦٦هـ) كتبَها قبل سنة واحدة من وفاته. وهي نسخة رائعة، كُتبت بخطّ النسخ على القاعدة.

وقد جعلها الأستاذ عبد الجوّاد نسخته الأمّ، وحقّ له ذلك، فأقربُ النسخ إليها كُتبت سنة (١٢٨٨هـ) بخطّ العلامة محمد الشنقيطيّ.

قلتُ: والنسخة الأم غُفْلٌ من زيادة: «في غريب لغة العرب»، فاعجب لصنيع الأستاذ عبد الجوّاد في ترجيحه الزيادة من النسخ الأخرى، مع بُعد الزمن بينها!

وقد ترجم العلامة ابنُ خير الأشبيليّ «المسلسل» تحت عنوان: «كتاب المُسلسل في اللغة»[1]. والراجح أنَّ تلك الزيادة شرحٌ للعنوان زاده أحد نُسّاخ الكتاب فيما بعد.

أمّا عن منهجه في الكتاب، وغايته منه، فلنُصغ إلى الرجل وهو يُحدّثنا عن غاية تصنيف مُصَنَّفِه ومنهجه في تسلسل مُسلسَله، إذ يقول: «والآن! فقد

---

(١) «فهرسة» ابن خير، ٢/ ٤٦٦ (٩١٤).

زهد الناس فيه -يعني علم اللسان العربيّ- زُهدهم في الفضائل، ورغبوا عنه رغبتهم عن الأواخر من العلم والأوائل، ولكل نجم مطلعٌ وأفول، ولكل حالة علوّ وسفول...

وإنّه كان مما سُمِعَ عليّ كتاب (المُداخل في اللغة) لأبي عمر المطرّز -رحمه الله!- فاستنـزرته لقدره، ولم أحظ بهلاله فيه ولا بدره، فرأيتُ أنه رأيٌ لم يستوفِ تمامه وغرضٌ لم تقرطسه سهامه، ولعله إنّما ارتجله ارتجالاً، وجرت ركائبه فيه عجالاً، فلم يُدمّث حَزْنه[1]، ولا أقام وزنه، ولا استوفى غُرره، ولا استقصى دُرره، فاقتضبها عُجالة، ووفّر دونها سجاله. فحرّكني ذلك إلى صلة ما بدأ، وتمكين ما رسم منه وأنشأ...، واقتضبتُ في ذلك خمسين باباً، افتتحتُ كلّ باب منها بشعر عربي، ثمّ ختمتُ الباب بمثل ذلك، وأوردتُ ما أمكن من الشاهد على ألفاظه هنالك...»[2].

وأقول: لي مع ما نقلته من مقدمته وقفاتٌ عدّة:

الأولى: إذا كان هذا حال العرب في القرن السادس من علم اللسان العربيّ، فما حالنا اليوم منه؟ نعوذ بالله من زَهادة الجُهّال وغفلة الأغمار!

الثانية: أنّ الرجل أشار إلى غايةٍ نبيلة ومقصد محمود في تصنيفه هذا، وهو إعادة الناس إلى لسان العرب؛ لأنه لسان «العلوم الشرعية، والهادي إلى المعاني الأصلية والفرعية، بها يُتوصّل إلى حقيقة معانيها، ويتسنَّمُ دَرج مبانيها، وعنها يصدر التأويل، وتتوجّه الأقاويل، وأنّه لا يوصَلُ إلى معرفة كتاب الله

---

(١) يُدمِّثُ، أي: يُوطِّدُ. والحَزْنُ: ما غَلُظَ من الأرض.

(٢) «المسلسل»، ص٣٥-٣٦.

تعالى، ومعرفة حديث رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين وأئمة الهدى من أمّتِه؛ إلا بحفظ لُغات العرب، وأنحائها، والأنس بإطنابها وإيحائها، وإبلاغها وإيجازها، وتوسعها ومجازها...»[١]، فرحمه الله وأعلى في الجنة مثواه!

الثالثة: أنَّ الرجل يعرف قدر نفسه وحدودها، وليس هو من التواضع الحقّ ببعيد! وهل التواضع إلا أن تعرفَ قدر نفسك، فتقف عندها؟! وهو كما أرى من هذه المقدمة: أديبٌ أريب، قلمه سيّال ومفرداته طيّعة عجال...

الرابعة: أنَّه اعتذر لأبي عمر الزاهد بارتجال كتابه واقتضاب مادّته عُجالة، ثم عاد ليقول: «واقتضبتُ في ذلك خمسين باباً...» إلخ، فكأنَّه تحدّى المُطرِّز بما اعتذر له به، وهو من ذكائه واعتزازه بعمله، فكأنَّه قال: لقد ارتجل المطرّز، وها أنا أرتجل!

الخامسة: أنَّه التزم بدء أبوابه بشاهد شعري وختمها بمثل ذلك، وهو من التجديد في هذا الفن.

وأرى أنَّه لم يطّلع على كتاب أبي الطيّب اللغويّ، وإلا فكتابه أولى بالتحدّي من «المُداخل»، فهو أجود في الصناعة سبكاً، وأحسن ثيمة وسمتا.

وأول شواهد «المسلسل» الشعريّة، قولُ امرئ القيس على خلاف في نسبة البيتين إليه، ولم أقف عليهما في الديوان:

لمـن زُحلوقةٌ زُلُّ	بهـا العينان تنهلُّ
يُنادي الآخرُ الأُلُّ	ألا حُـلّوا، ألا حلّوا!

(١) المصدر السابق، ص٣٢.

وآخرها قول الشاعر،وهو غير منسوب[1]:

أؤمّلُ أن أعيش، وإن يومي لأوّلُ أو لأهونُ أو جُبارُ

أو التالي دُبارُ، فإن أمنته فمونسُ أو عَروبةُ أو شيارُ

قال أبو طاهر: «فأولُ عند العرب العاربة: يومُ الأحد، وأهون: يوم الاثنين، وجُبار: يوم الثلاثاء، ودُبار: يوم الأربعاء، ومونِس: يوم الخميس، وعَروبة: يوم الجمعة، وشيار: يوم السبت»[2].

قلتُ: وبقوله هذا تمّ الكتاب، ومن لطائفه أنه ختم الكتاب بما بدأه به.

والكتاب غزير الشواهد، قاربت أربعة وعشرين وأربعمائة شاهد، كلّها من عصر الاستشهاد، فالكتاب ثروة لغوية فريدة، ووعاء علم نفيس، ومنهل ثرّ!

غير أنه أخطأ في نسبة بعض الأبيات إلى قائليها. مثال ذلك: أنه نسب «ثمانية وأربعين بيتاً لامرئ القيس الكنديّ، منها عشرة باسم (امرئ القيس)، وواحد وعشرون باسم (الكنديّ)، وأربعة باسم (حندج)، وثلاثة باسم (الضِّلِّيل)...»[3].

والمحقّق في نسبة الأبيات يجد أنَّ ثلاثةً منها ليست لامرئ القيس بأسمائه الأربعة جميعاً، وإنما هي لعلقَمَة الفَحْل[4] جاءت في قصيدته التي كان يُغالب

(١) نسبه في «جمهرة اللغة» ٣/ ١٣١١ إلى بعض شعراء الجاهليّة.

(٢) «المسلسل»، ص٣٢٥.

(٣) أجرى هذه الإحصائية محقّقُ «المسلسل» الأستاذ عبد الجواد، جزاه الله خيرا!

(٤) علقمة الفَحْل (ت ٢٠ ق. هـ.): هو علقمة بن عَبدة، من بني تميم، جاهلي من مُعاصري امرئ القيس، وله معه قصّة. ترجمته في «طبقات ابن قتيبة» ص٣١-٣٢.

فيها امرأ القيس، وهي الأبيات: (٣- ١٣، ٥-١٩، ٦-٣٦) حسب ترقيم المحقّق.

وعلى أية حال، فقد أخطأ بنسبة (٦٪) فقط، وهي نسبة ليست كبيرة!

الموازنة بين المشجَّرات الثلاثة:

لم يُغْفِل الأستاذ عبد الجواد مُحقّق المشجَّرات الثلاثة المعروفة الموازنةَ بينها، فقال: «وبالرجوع إلى هذه المؤلفات الثلاثة: (المداخل) و(شجر الدرّ) و(المسلسل) وبالموازنة بينها، نرى أنَّها تختلف في اختيار المفردات، وكونها أكثر استعمالاً وحداثة ووضوحا.

فبينما نجد مفردات (مداخل) المطرّز تميل إلى البداوة، وتتعمّق في الغرابة؛ نجد كثيراً من مفردات (شجر الدرّ) أكثر استساغة في نظر المُحْدَثين على الأقلّ، وإن كانت شواهدها تضمّ غيرَ قليل من الشواهد القديمة. أما مفردات (المسلسل) وشواهده، فكثيرة تجمع بين الغريب والمستعمل، وقد حمله تحدّيه المطرّزَ إلى المبالغة في ذلك...»[١].

قلتُ: لم أستشعر هذا الفرق الذي تحدّث عنه الأستاذ عبد الجواد بين المشجَّرات الثلاثة، من حيث غرابة المفردات واستعمالها[٢]. وكيف يكون

(١) «شجر الدرّ»، مقدمة المحقّق ص٢٠.

(٢) ربما حمله على ذلك كثرة الشواهد القرآنيّة في «شجر الدُّرّ» ونقله عن المفسّرين كما سيأتي. والأصل عندي «جذعُ الباب»، أي: المفردات المتداخلة فيما بينها لتداخل معانيها، وما عداها من شواهد وشروح بمنزلة الحواشي إلى الأصل.

ذلك كذلك وهذا الفنُّ أُسِّسَ على جمع الغريب من ألفاظ اللغة، وتوليف شواردها وحوشيّها؟!

وإذا سَلِم لأستاذنا المحقّق قوله هذا، فإنّه حصر الموازنة بين المشجرات في أصالة الألفاظ وحداثتها -إن صحّ التعبير- وفاته أن يوازن بين الكتب الثلاثة من جهة بِنية كلّ واحد منها، وغزارة شواهده، وطريقة استشهاده بتلك الشواهد، والإضافات التي جاء بها كلّ واحد منهم في هذا الفن المبتكر!

وأنا إذ أقول هذا، لا أَعِدُ بإنجاز ذلك كلّه هنا؛ لأن بحثي هذا مقدّمة عامة للتعريف بهذا الفنّ المغمور، وكلّ كتاب من هذه الكتب الثلاثة حقّه أن يُدرس على حِدَتِه دراسةً استقرائية تامة، حتّى نستبين دقائق منهج كلّ مصنِّف من الثلاثة، بل حتى نستطيع الموازنة بين مصنَّفاتهم الثلاثة.

لكنَّني لن أبرح مقامي هذا حتّى أُقدّم بعض الإضاءات المفيدة في طريق دراسة هذه الكتب النوابغ بأوسع ممّا جاء به الأستاذ عبد الجواد، رحمه الله تعالى!

فأقول: إنّ ما قدّمناه من وصف ظاهريّ لكلّ كتاب من الكتب الثلاثة قَبلُ يُقرّبنا من غايتنا بعض الشيء، فإنّ معرفة هيكل الكتاب تكشف لنا ملامح منهج المصنّف في تصنيف كتابه، فماذا نرى؟

نرى المطرِّز أيسرهم شرطاً، وهو لم يَزِد على أن سَلْسَل المفردات والألفاظ لتداخل معانيها وتقاربها، مع استشهاده بالبيت أو البيتين أو أقل من ذلك أو أكثر منه، كيفما اتفق من غير شرط ولا قيد. وهذا يتناسب مع كونه مبتكراً

لهذا الفن -إن كان!- وهذا مُتّسقٌ مع نشأة العلوم وتطورها، وما زالت العلوم تبدأ صغيرة، ثمّ تكبُر.

إلا أنّه تميَّز بكثرة النقل عن أئمة اللغة وتوثيقه لذلك النقل على منهج المحدِّثين في رواية الأحاديث والأخبار.

أما أبو الطيّب، فقد كان بارعاً، مُجوّداً ومُجدّداً.. اشترط على نفسه ما نقلناه آنفاً عنه من مقدّمة. والذي أفدناه من منهجه ذاك أنّه أضاف إلى تسلسل الألفاظ لتداخل معانيها فوائدَ في الاشتراك اللفظيّ[1] وهي إضافة جليلة القدر في هذا الفنّ.

فلو نظرنا إلى هيكل «شجرة العين» عنده مثلاً، لوجدنا أبا الطيّب يُتحفنا بتسعة معان تشترك بلفظة «العين»، بدأها بأصل معنى هذه اللفظة في أصل الوضع اللغويّ[2] وهو «عين الوجه» يعني الجارِحة المعروفة، ثم تدرَّج في إيراد المعاني، وكأنَّه يريد لفتَ أنظارنا إلى ظاهرة التطور الدلالي لهذه اللفظة، ولغيرها من أصول أشجاره في كتابه الرائع هذا، إما على وجه تخصيص العام،أو على وجه تعميم الخاص، أو تغيير مجال الدلالة، استعارة أو مجازاً مرسلا.

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في الفصل الرابع من هذا الكتاب. والمشترك اللفظي: هو اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل اللغة.

(٢) يُستدلّ على أصل الوضع اللغويّ من تتبع معاجم اللغة، والنظر: فإما أن ينصّ أحد الأئمة على ذلك، وإما أن يؤخذ المعنى الأول الذي تنصّ عليه المعاجم؛ لأنَّه المعنى الألصق بالمفردة، فتقديمه واجب على ما كان مجازاً أو استعارة.. إلخ.

فأنت ترى أنَّ الفائدة من صنيع أبي الطيّب في شجره متناميةٌ متكاثرة، تُحاكي عمل المعاجم اللغوية في سردها لمعاني المفردة، والتدرج في إيراد الحقيقي منها، والتعريج على الاستخدامات المجازية لها واستعاراتها[١]... إلخ.

وهذه الفائدة من صنيعه تُشاكِل كتب فقه اللغة القديمة، مثل كتاب «فقه اللغة وسرّ العربية» للثعالبيّ[٢] في عرض التطور الدلالي للمفردات: تخصيصاً وتعميما.

يضافُ إلى ذلك إكثاره من الشواهد القرآنية، وإيراده آراء المفسّرين من دون التصريح بأسمائهم.

وأما أبو طاهر، فقد سار على ما التزمه من ابتداء الباب ببيت من الشعر، وختمه بمثل ذلك، وما بينهما تسلسلٌ للألفاظ لتداخل معانيها، كما هو صنيعُ أبي عمر الزاهد، مع تميزه بكثرة الشواهد الشعرية.

إلا أنّ اللافت فيما يخصّ نشر الكُتب الثلاثة تكرارُ نشر كتاب «شجر الدُّرّ» لخمس مرّات بين العامين ١٩٥٧ و١٩٩٨م، مع الاكتفاء بطبعة واحدة لكلّ من الكتابين الآخرين. وهو ممّا يجب التنبه إليه في الموازنة بين هذه الكتب.

---

(١) أقرب مثال على تلك المعاجم: «أساس البلاغة» للإمام جار الله الزمخشريّ وقد فرّق فيه بين الاستعمال الحقيقيّ والمجازيّ للمفردات، على أنَّ كلامه ليس نهائياً كما هو معلوم من عمل صاحب «غراس الأساس».

(٢) الثعالبيّ (٣٥٠-٤٢٩هـ): أبو منصور، عبد الملك بن محمد الثعالبيّ. ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٤٣٧-٤٣٨ (٢٩٢).

فالفائدة من كتاب أبي الطيّب اللغويّ أعمّ وأشمل من كتاب الزاهد -رغم سابقته- وكتاب ابن الأشتركونيّ مع تأخّره، فإنَّه مليء بالفوائد اللغويّة. وربما كان هذا شهادة من العقل الجمعي للمختصين في مجال الدراسات اللغوية لكتاب أبي الطيّب.

وفي الجملة، فإنَّ المشجّرات تطبيق رائع للظواهر اللغويّة، مِن مثل: الترادف، والاشتراك اللفظي، والتطور الدلالي، والاشتقاق بأنواعه، وغير ذلك من مباحث فقه اللغة، هذا فضلاً عن رَفْدها كتب متن اللغة بالغريب (المعاجم) من المفردات.

وهنا أود أن أختم الموازنة بين المشجرات الثلاثة بذكر ملاحِظ فنيّة على صنيعهم جميعاً في مشجراتهم، مما يدخل في باب التجوّزات في الصنعة:

- ربما اختلفت المفردات المتسلسلة في صرفها، كقول أبي الطيّب في موضع من النموذج الذي سقناه سلفاً: «وأودى الرجل: إذا خرج من إحليله (الوَدْي)، و(الوَدِيُّ): الفسيل...»، وقول ابن الأشتركونيّ أيضاً: «والحبلُ: المستطيل من (الرَّمْل)، و(الرَّمَل): ضرب من السعي»، وهي حيدة عن أصل التطبيق اضطروا إليها في مواضع أعوزتهم فيها المفردات المتطابقة صرفا.
- وربما كان التسلسل بين كلمات مفردات (مفردة لمفردة) وربما كان غير ذلك، بتسلسل مفردات مع تراكيب، كقول الزاهد مثلاً في النموذج الذي سقناه سابقاً: «والمزجُ: العَسَل، والعَسَل: اضطراب القصبة إذا حُركت...»، ولهذا صلة بمبحث «صلة المشجر بالترادف» الآتي في الفصل الرابع من بحثنا هذا.

▪ ربما سلسلوا تصاريف المفردة، دون المفردة ذاتها، كقول اللغويّ: «والصبّ: (الدَّنِفُ) من عشق به، و(الدَّنَفُ): العلّة...»، فالمفردة الأولى اسم فاعل، أما المَفردة الثانية، فهي مصدر الفعل (دَنِف).

وغير ذلك من التجوّزات التي وإن مثّلت خروجاً عن أصل الصنيع، إلا أنها في الحقيقة تكسر رتابة تسلسل المفردات بما يشبه التلوين البياني.





الفصل الرابع

صلة المشجّر بعلوم اللغة وفنونها

الفصل الرابع

صلة المشجّر بعلوم اللغة وفنونها

المشجّر بين متن اللغة وفقهها:

لَكثيرةٌ هي علوم اللغة العربية وفنونها، حتّى إنَّ الإمام السيوطيّ أحصى منها في «المُزهر» سبعة وأربعين علماً وفنّا. ومعلومٌ أن هذه العلوم اللغويَّة وتلك الفنون اللسانيَّة تتداخل في كثيرٍ من المشتركات بينها من جهة، كما ينفردُ كلٌّ منها بخصائص تميّزه عن غيره، من جهة ثانية.

إنَّ معرفة خصائص كلّ علم وصلته بالعلوم الشقيقة له تنفع في تكميل عمود الصورة لهذا العلم، والتعرُّف على أثره في تلك العلوم وأثرها فيه، بما يُفضي إلى معرفة مكانته، والوقوف على خطره في الحياة اللغوية.

ورغم أنَّ درس الفنون -ومنها المشجَّر- يختلف عن البحث في العلوم من حيث الخصائص والمكانة والخطر، إلا أنَّ الإحاطة بما تقدّم من صِلة الفنّ بغيره من علوم اللغة وفنونها ضرورة أيضاً في هذا السياق، وخاصة في «المُشجَّر»! ويكفي هنا أن نتذكّر غاية ابتكاره التي لا تخرج عن إطار الحِفاظ على مُفردات اللغة وتيسير حفظها للعامة، فضلاً عن لفت الأنظار إلى ظواهر لغوية مهمة، كالترادف والاشتراك اللفظي وغيرهما، لكن بقالب فني مبتكر.

والمشجّر -على هذا- وثيق الصلة بمَتن اللغة (المعاجم منه خاصّة)، بل هو منها كما نصّ على ذلك غيرُ واحد من العلماء[١]، وهو في الوقت ذاته وثيق

(١) سبق واقتبسنا قول الأستاذ جاد المولى: «ألا وإنّنا قد انتهى إلينا من فنون (متن اللغة) فنّ ظاهر الفضل، جليل المَغزى...» إلخ. «طريف التأليف اللغويّ»، ص٣١٣.

الصلة بفقه اللغة، باعتبار مُراعاته لتخالف الألفاظ في المعاني التي وضعت لها، وهي مادّة الدرس الفقهيّ في اللغة[١].

وإنّها لمزيّة لهذا الفنّ، يجِدُ حلاوتها كلُّ مَن جالَ بين صنيع أصحاب المُشجَّرات مُطالعاً أو دارساً، على اختلافهم في مسالك التصنيف وتباينهم في مناهج التأليف. بل إنّ القارئ يحصل له من اختلافهم هذا لذّة إضافيّة، لما في صنيع بعضهم من زيادات على صنيع بعضهم الآخر. فإن اقتصر عمل المُطرِّز على تسلسل المفردات لتداخل معانيها، فإنّ عمل أبي الطيّب اللغويّ زاد في قُربه من فقه اللغة بما تضمّنه مِن تفريع قائم على الاشتراك اللفظيّ.

لذلك، اخترنا هنا أن نُفرِد فصلاً لبحث صلة المُشجَّر بعلوم اللغة الأخرى وفنونها؛ لتحقيق ما تقدّم من غايات، تخرجُ معها مادّة الكتاب عن الدرس التاريخيّ البحت إلى البحث الفقهيّ أو قريباً من تُخُومه.

وكنت قد عقدتُّ مطلباً لبحث صلة المُشجَّر بفنّ «المقامات»، إلا أنني حذفته من مسودة الكتاب النهائية؛ لأنَّ الصلةَ بينهما صلةُ غاية، ليس فيها من الدرس الفقهيّ الشيء الكثير. يقول أبو الطيّب اللغويّ شارحاً غاية المُشجّرات في مقدّمة كتابه: «جمع شوارد اللغة وغرائبها، وحيلة من حيل تحصيل مفرداتها وأساليبها، ودراستها بطريقة لا تورث الملل والسآمة»[٢].

---

(١) يرى الشيخ حسين المرصفيّ -رحمه الله!- «أنّ متن اللغة هو العلم الذي يُعرّفك أوضاع الألفاظ لمعانيها، وأنّ فقه اللغة يبحث في تخالف الألفاظ في المعاني التي وُضِعت لها». «الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية»، ١/ ٦٠، بتصرّف يسير.
قلتُ: فالأوّل يُعنى بسرد الألفاظ وبيان ما وضعت له من المعاني (المعاجم)، والثاني يلحظ الفروق اللطيفة بين الألفاظ.

(٢) «شجر الدرّ»، مقدمة المحقق ص١٤-١٥، بتصرّف.

وهل قصد أصحاب المقامات غير ذلك؟!

يقول الإمامُ الحريريّ[1] مجوّد فنِّ المقامات في مقدمة مقاماته الشهيرة: «وأنشأت... خمسين مقامةً، تحتوي على رقيق اللفظ وجزله، وغُرر البيان ودُرَرِه، ومُلَح الأدب ونوادره، إلى ما وشَّحتها به من الآيات، ومحاسن الكنايات، ورصعته فيها من الأمثال العربيّة، واللطائف والأحاجي النحويّة، والفتاوى اللغويّة، والرسائل المبتكرة، والخطب المُحبّرة...، وما قصدتُ بالإحماض[2] فيه، إلا تنشيط قارئيه، وتكثير سواد طالبيه»[3].

فاتّفاقهما في الغاية ظاهر، وقصدهما في ذات الاتجاه سائر. وهذا كلُّ ما بينهما من صلة من وجهة نظري، والله تعالى أعلم!

المشجَّر والمعاجم اللغوية:

أجمعَ المعاصرون من دارسي المُشجَّر على أنَّه ضرب من ضُروب المعاجم، كما تقدّم في التعريف بالجهودَ السابقة من المباحث التمهيديّة. وتقدّم قريباً أنّ الأستاذ محمّد جاد المولى عدَّه من فنون متن اللغة، في مقاله: «طريف التأليف اللغويّ»[4].

---

(١) الحريريّ (٤٤٦-٥١٠ هـ): هو أبو محمد، القاسم بن علي بن محمد الحريريّ البصريّ، الأديب الكبير، ذو البلاغتين. ترجمته في «سير أعلام النبلاء»، ١٤/ ٣٣٨ (٤٦٩١).

(٢) الإحماض: الإفاضة فيما يؤنس، والانتقال من أسلوب إلى آخر.

(٣) مقدمة «مقامات الحريريّ»، ص١٢.

(٤) «طريف التأليف اللغويّ»، ص٣١٣.

وتناول الدكتور رمضان عبد التواب «المشجّر» في استعراضه للتراث المعجميّ العربيّ في الباب الرابع من كتابه «فصول في فقه العربية»، وعقده تحت عنوان: «المعاجم العربية»[1].

بل ترجم الأستاذ أحمد الشرقاويّ إقبال للمُشجَّرات في مُعجمه: «معجم المعاجم» بعنوان: «معاجم المداخل والمشجّر والمسلسل»[2]، وكذا فعل في مقاله: «طرائف من المعجم العربيّ»، واستهلّ حديثه عنها ثمّة بالقول: «من ظريف التصنيف المعجمي تلك المعاجم التي سُمِّيت بالمُداخل، وبالمشجر مرةً، والمسلسل مرةً ثالثة...».

أما الأستاذ عبد العزيز الحميد في مقاله: «مقدمة مختصرة عن المعاجم»، فقد عدَّ المُشجَّرات في «معاجم المعاني» بمقابل «معاجم الألفاظ»[3].

قلتُ: فالمشجَّر في حقيقته صياغة مُعجميّة للمفردات اللغويّة، فهو ضرب من ضروب المعاجم، توسّل صنّاعُهُ الحيلةَ في تصنيفه؛ لتقديمه في قوالب طريفة تُقرِّبه من طُلاّبه.

أما تصنيف المشجّرات ضمن معاجم المعاني (أو معاجم الموضوعات)، فقد سلك علماء العربية في جمع اللغة مسلكين اثنين:

الأول: جمعُ مفردات اللغة وتصنيفها بالنظر إلى معانيها.

والثاني: جمع مفردات اللغة وتصنيفها بالنظر إلى ألفاظها.

---

(١) «فصول في فقه اللغة»، ص٢٤٥ و٢٤٦.

(٢) «معجم المعاجم»، ص٣٤١.

(٣) مصدر سابق، يُنظر في موقع «صوت العربية» بالرابط: http://rds.yahoo.com

فالمسلك الأول تُجمع فيه الكلمات التي تتعلّق بموضوع واحد في موضع واحد، بحيث تكون تلك الكلمات المرتبطة بتلك العلاقة اللغوية مجموعةً في رسالة واحدة، وتُسمّى هذه المؤلفات التي تشتمل على هذه المفردات «معاجم المعاني» أو «معاجم الموضوعات». ويُطلق على الكتب الخاصّة بمفردات موضوعٍ واحدٍ عنوان: «الرسائل اللغويَّة» غالبا[١].

وبهذا عدُّوا المشَجَّر من معاجم المعانـي، إذ تتسلسل فيه الألفاظ لتداخل معانيها. لكنّ معاجم المعاني ليست كمعاجم الألفاظ في يُسر الوصول إلى المادة اللغوية (المفردة) فيها؛ إذ إنَّها لا تُقدّم سرداً عمودياً للمفردات (الـمَداخِل) التي عادةً ما تُرتّب ترتيباً ألفبائياً بما يُسمّى في علم اللغة الحديث: قائمة الـمَداخل (Nomenclature)[٢].

فمعاجم المعاني -كما أسلفنا- أُعِدَّتْ لحفظ المفردات الغريبة، وتيسير حفظها على طُلابها، ولم يُنظر فيها إلى تيسير الوصول إلى المادة اللغوية الذي اضطلعت به معاجم الألفاظ.

لكنَّ معاجم المشجَّر اقتصرت -كغيرها من معاجم العربيّة- على جمع المادة اللغويّة وعرضها وترتيبها بطريقة معينة، ولم يكن لها أثر في سدِّ ثغرات التصنيف المعجميّ العربيّ، ومن أهمها: إغفال توثيق التطور اللغويّ للمفردات في: الأصوات، والبنية، والدلالة، والأسلوب[٣].

---

(١) «مقدمة مختصرة عن المعاجم»، مصدر سابق.

(٢) «معجم المصطلحات اللغوية»، للدكتور أحمد خليل، مادة (معجم).

(٣) يُنظر في ذلك «فصول في فقه العربية»، ص٢٨٦-٢٨٩.

إلا أنَّ الفائدة العُظمى لمعاجم المشجَّر في حياتنا العلميّة المعاصرة هي زُخورها بذخيرة كبيرة من المفردات الموثقة بالإسناد، هذا من جهة.

وهي -من جهة ثانية- حافلةٌ بالشواهد الشعرية من عصور الاستشهاد.

وهو ما يُرشِّحها لتبوُّءِ مكانة عالية في مصادر المعجم العربيّ الأمل الذي لا بُدّ يولدُ يوماً، بالتغلّب على عيوب المعاجم العربية القديمة، ومن أهمها: معرفة صحيح اللغة من ضَعيفها بتتبّع الطرق وجمع الروايات، والاستدلال على المعنى بالشواهد مع الاحتراز في الشواهد الشعريّة من ضرائر الشعر، وكذا تتبّع التطوّر اللغويّ والدلاليّ للمفردات وغير ذلك.

المشجَّر والترادف:

الترادفُ في الاصطلاح اللغوي: دلالةُ عِدَّة كلمات مختلفة ومنفردة على المسمّى الواحد أو المعنى الواحد دلالةً واحدة على السواء، نحو: الشَّمول، والعُقار، والقَرْقَف، والخَنْدَرِيس، والرّاح، والصَّهْباء، والسَبّاء[١]، وهي جميعاً من أسماء الخمر وصفاتها.

أو هو: توالي الألفاظ المفردة، الدالة على شيء واحد، باعتبار واحد[٢].

وقد كُتِبَ الكثير عن الترادف ومعناه وإمكان حدوثه وغير ذلك، ولست هنا بصدد بسط الكلام فيه، بل ولا حاجة بنا إلى ذلك وقد جُرِّدت له دراساتٌ جامعية، كأطروحة «الترادف في اللغة» للأستاذ حاكم مالك لعيـبي، يجمُل

---

(١) الأستاذ حاكم مالك لعيبي: «الترادف في اللغة»، المصدر السابق، ص٣٢ بتصرّف يسير.

(٢) «معجم مصطلحات أصول الفقه»، للدكتور قطب مصطفى سانو، مادة (الترادف).

بنا أن نُفيد منها اختصاراً للوقت والجهد من جهة، واحتراماً لجهود الآخرين وتنويهاً بفضلهم من جهةٍ ثانية.

لقد اطلعت على البحث، فوجدت خلاصة ما يتصل بموضوعنا هنا الآتـي:

«٣- إن الخلاف في وقوع الترادف سببه اختلاف اللغويين في النظر إلى فكرة المعنى اللغويّ، وتباين مواقفهم ومناهجهم في النظر إلى اللغة، يُزاد على ذلك ما تركته النظرة العقلية والمنطقية من أثر واضح في موقف المنكرين خاصة.

٤-إن الكثرة الكاثرة مما سُمّي بالمترادف في العربية لا صحّة له، وقد كان لخلط جامعي الألفاظ المترادفة ومنهجهم الخاطئ في هذا الجمع أثر كبير في ذلك.

٥-إن الترادف واقع في العربية لا سبيل إلى إنكاره، وهو موضوع يُنمّيه التطور، ويدعمه الاستعمال، ويشهد به الواقع اللغويّ. أما هذه الكثرة، فلا صحة لها بالمعنى الدقيق للترادف. والترادف حالة تعرِض لألفاظ من اللغة في أثناء حياتها وتطورها، ومن الجائز أن يكون ما كان مترادفاً في مرحلة ما مُتبايناً في مرحلة أخرى، والعكس صحيح أيضاً، ما دامت ألفاظ اللغة جميعاً عُرضة للتطور الدلالي...»[1].

---

(١) «الترادف في اللغة»، ص٣٠٦ بتصرّف يسير. وانظر للتوسّع ما كتبه الرافعيّ في «تاريخ آداب العرب» ١/ ١٦١ فما بعد، وذكرَ ثمَّةَ أربعة مذاهب للعلماء في «الترادف».

ومذهبي في الترادف يتلخَّص في منعه ونفي ترادف المفردات (أي مفردة لمفردة)، وأن الترادف حاصل بين مفردات وتراكيب، وهي التعريفات التي نُعرّف بها الأسماء والمفاهيم وغيرها، وأنَّ ما يُظَنُّ ترادفاً هو من قبيل الأسماء والصفات... إلا أن إثبات ذلك يُعْوِزه الدليل القائم على الدراسة المتأنية.

وإن سبب إفرادي مطلباً خاصاً بعلاقة المشجّر بالمترادف (أو الترادف)، هو يقيني بأثر موقفنا من الترادف وجوداً وعدماً على فنّ المشجّر، فإنّ القول بمنع الترادف أصلاً سيأتي بُنيانَ هذا الفنّ من القواعد، بل وفنوناً أُخرى تقوم على مثل ما قام عليه المشجر.

وعلى أية حال، فالنتيجة التي خلص إليها الأستاذ لعيبي، وهي إثبات وقوع الترادف في نطاق ضيق، يلزمُها تضييق خيارات المفردة عند التطبيق العمليّ على المشجر وغيره من الفنون الراسية على إثبات حصول الترادف أو منعه.

بل إن ذلك يستدعي دراسة المفردات الواردة في المشجرات؛ لِنَميز ما يسلم فيه الترادف من سواه، ولا يكون ذلك إلا بتأصيل منهجٍ قويم للفحص والاختبار والتقويم.

والذي أحبُّ أن ألفت إليه في ختام هذه الفقرة، أنّ صنيع أئمّة المُشجّر لم يقتصر على مُداخلة المفردات فحسب، بل لاذوا بمداخلة المفردات بتراكيب تؤدّي معناها، حين أعيتهم الحيلة في الإتيان بمفردة (أي ما يُعرف بتوالي التعريفات) كما يدلنا على ذلك صنيعُ اللغويّ في أحد فروع شجرة العين، على سبيل المثال لا الحصر:

«فرعٌ- والعينُ: نفس الشيء، والنفس: (ملء الكف من دِباغ)...، والثور: (قشور القصب تعلو على وَجْه الماء)...، والمراهنة: المقاومة.. فلانٌ يراهنُ فلاناً أي يُقاومِه، والمُقاومة مع الرَّجُل: (أن تذكر قومك ويذكر قومه؛ فتتفاخرا بذلك)...»، وسيأتي مزيد تفصيل لذلك في صلة المشجر بالفروق اللغوية.

وقد قمنا بإحصاء المفردات التي تداخلت في معناها مع مفردات (دون التراكيب) في القطع الثلاث التي سقناها في الفصل الثاني أمثلةً على المشجر من المُشجَّرات المعروفة، فتبيّن الآتـي:

جدول بنسبة الترادف في نماذج المشجرات الثلاثة

ت	المشجّر	عدد مفردات القطعة	المفردات الداخلة في تعريف الترادف	نسبة الترادف (٪)
١	المداخل	١٠١	٤٦	٤٦
٢	شجر الدرّ	١٨١	٥٦	٣١
٣	المسلسل	١٩٥	١٠٤	٥٣

ورغم أن الأحكام النهائية تستلزم إجراء إحصاء تامّ لفصول الكُتب الثلاثة جميعاً، لا أجد بأساً في تقديم قراءة أوّلية لنتائج الجدول فيما يأتي:

- غزارة مفردات قطعتَي «المُسلسل» و«شجر الدّر» نسبة لما في قطعة «المداخل».

- غَلَبَة الرواية على أبي عمر المطرّز جعلته يلتزم بإيراد المفردات الغريبة نقلاً عن مشايخه، مفردةً لمفردة، دون أن يتأثّر بما تأثّر به تلميذه اللغويّ وسيأتي. وهذا -في نظري- سبب ارتفاع نسبة الترادف في صنيعه.
- تأثّرُ اللغويِّ في صنيعه بمنهج فقهاء اللغة والأصوليين والمفسرين ظاهرٌ، إذ يغلبُ على عمله وصف «توالي التعريفات» أكثر من «تسلسل المفردات» الذي هو في المحصلة «ترادف». فاتّكاؤه على الاشتقاق -بأنواعه- بيّن، والشذرات التفسيرية فيه حاضرة، وما كان من مُفرداته مسموعاً يأتي لها بمعانٍ غريبة، كقوله في شجرة العين مثلاً: «والسحاب: اسم عمامة كانت للنبي ﷺ، والنبي: التلّ العالي، والتلّ: مصدر التليل، وهو المصروع على وجهه...» وهكذا. لذا.. جاءت نسبة الترادف عنده في أدنى مستوى.
- أما ابن الأشتركونيّ، فقد ألمح في مقدمة كتابه إلى انتدب نفسه لتحدّي المطرِّز، فكان لا بُدّ له من محاكاة صنيعه فيما يخصّ اختيار المفردات ومنهجه في مداخلتها بالمعاني المختلفة. وهذا يُفسّر ارتفاع نسبة الترادف عنده عن أبي الطيّب الذي لم ينظر إلى كتاب المطرّز، لا مُحاكياً ولا متحدِّيا! لكنَّه، تجاوز المطرِّز أيضاً في ذلك بهامش كبير نسبياً، وهو من تمام تحديه له. فهو أكثرهم مفردات، وأكثرهم شواهد، وأكثرهم التزاماً بشرط الترادف.

المشجَّر والفروق اللغوية:

يكادُ الكلامُ على «الفروق اللغوية» يكون فرعاً عن البحث في «الترادف»، فالبحث في الفروق اللغوية هو تنقيرٌ عن الفرق بين المعاني اللطيفة للمفردات التي درج الناس على اعتبارها مُتشابهةً متماثلة تدلُّ على معنى واحد.

وقد صنّف في هذا العلم أئمةٌ كبار من أمثال الجاحظ (ت ٢٥٠ هـ) في كتابه «الفرق في اللغة» وهو غير مطبوع حسب علمي، وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) الذي عقد باباً في كتابه «أدب الكاتب» لمعرفة ما يضعه الناس في غير موضعه.

إلا أن أشهر الكتب المصنَّفة في الفروق اللغوية كتاب الإمام أبو هلال العسكري (ت نحو ٤٠٠ هـ)[1]، وهو منشور متداول.

والحقّ أنّ صلة هذا العلم بالمشجّر -عندي- وثيقة، إذ ربما كان التسلسل فيه واقعاً بين مفردات (لا تراكيب) وربما كان غير ذلك على ما أوضحنا قبلُ، بتسلسل مفردات مع تراكيب، كقول الزاهد مثلاً في النموذج الذي سقناه سابقاً: «والمزجُ: العَسَل، والعَسَل: اضطراب القصبة إذا حُرّكت...».

فالعَسَلُ هو المزجُ.

والعَسَل -أيضاً- هو اضطراب القصبة إذا حُرّكت..

ولا ترادف بين المفردات هنا، وإنما هو ترادف بين مفردة وتركيب، وهو خارج -في نظري- عن موضوع الترادف بمخالفته لأصل التعريف الذي نصّ -كما نقلنا- على أنَّ الترادف هو «دلالة عدَّة كلمات مختلفة ومنفردة على المسمّى الواحد»، فقيد «منفردة» أخرج التراكيب من التعريف، وهو معيار يمكن أن يُعتمد في نفي الترادف وإثبات الفرق اللغوي، بعد تتبع معاني المفردات في المعاجم اللغوية بأنواعها كافة.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في مقدمة تحقيق كتاب «الفروق اللغوية» لأبي هلال العسكريّ، بتحقيق الأستاذ محمد باسل عيون السود، ص٢٠ فما بعد.

وحتى ما سِيقَ مساقَ الترادف بين المفردات في المشجرات الثلاثة؛ فَيَرِدُ عليه ما أثبَتَه أئمة اللغة من فروق لطيفة بين تلك المفردات، سواءٌ في كتب الفروق اللغوية أو في أصناف المعاجم، وخاصة «فقه اللغة وسرّ العربية» للإمام الثعالبي (ت ٤٢٩هـ).

ففي «شجر الدرّ» لأبي الطيب اللغوي على سبيل المثال: «والطاقة: المَقْدرة».

قال أبو هلال العسكري في الفروق بين القُدْرة والطاقة: «أن الطاقةَ غايةُ مقدرة القادر واستفراغ وسعه في المقدور. يُقال: هذا طاقتي، أي قدر إمكاني. ولا يقال لله تعالى مُطيقٌ لذلك»(١).

قلت: إذ ليس لقدرته غاية، عزّ وعلا!

وأقول: فكان حَرِيّاً بالإمام اللغويّ أن يقول: «والطاقة: غاية المقدرة»؛ ليكون المعنى المثبت للطاقة أقرب، بل أدقّ!

وهنا لا بُدّ من وقفة تأمّل في صنيع العديد من مصنفي المعاجم، فيما يتَّصل بالفروق اللغوية بين المفردات، ولنأخذ مثالاً على ذلك الإمام الرازيّ في معجمه «مختار الصحاح»، ومن ورائه «الصحاح» للجوهريّ.

فالمتتبّع لمفردات (بتّ وجذّ وجذم وحسم وفصل وقرض) في مختار الصحاح يجد أنها جميعاً بمعنى (قطع)، أي مطلق القطع، من دون زيادة في المعنى.

---

(١) «الفروق اللغوية»، المصدر السابق، الفرق رقم (٢٥١)، ص١٢٦.

فإذا ما رجعنا إلى «فقه اللغة وسرّ العربية» للثعالبي، وجدناه يفرد الباب الثاني والعشرين من كتابه للبحث في «القطع والانقطاع والقِطَع وما يقاربها من الشقّ والكسر وما يتصل بهما»[١].

فهو يجعل الفصل الأول من هذا الباب «في قطع الأعضاء وتقسيم ذلك عليها»، فيقول: «جَدَع أنفه - صَلَم أُذُنه - شَتَر جفنه - شرَم شفته - جذَم يده».

بينما يساوي الإمام الرازي في مختار الصحاح بين ما تقدّم كلّه، فيقول في مادة (جدع): «الجدعُ: قطعُ الأنف وقطع الأذن وقطع اليد والشفة، وبابه قطع».

والفصل الثاني عند الثعالبي «في تقسيم قطع الأطراف»، فيقول: «قصّ جناح الطائر - حذف ذنب الفرس - قدّ ريش السهم - قطّ القلم - عصف الزرع - خرم الأنف، وهو دون الجدع»... إلخ.

فتأمّل ووازن بين الصنيعين، وأيهما أقرب إلى دقّة العربية في التعبير وسموها في الأداء!

المشجر والاشتراك اللفظي:

عرَّفُوا المشترك اللفظي بأنه «اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين أو أكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة»[٢].

---

(١) «فقه اللغة وسرّ العربية» للثعالبيّ، ص٢٢٤-٢٣٨.

(٢) «المزهر»، ١/ ٣٦٩.

وعرّفوه أيضاً بأنه: «اتحاد اللفظ مع تعدّد المعنى، أو: اللفظ الموضوع للدلالة على معنيين فأكثر بأوضاع مختلفة، بحيث يحتاج تعيين المعنى المراد إلى اجتهاد ونظر»[١].

وقد اعتنى الأصوليون بدراسة المشترك اللفظي لصلته الوثيقة بـ«التورية»، التي تتوكَّأ على استخدام الألفاظ المشتركة في معانٍ غير متبادرة منها، للخروج من يمين أو غيره.

وكما هو الحال في الترادف، فقد اختلفوا في وقوع الاشتراك اللفظيّ وعدمه، وذهب البعض إلى أنَّه لا وجود له في واقع الأمر، إلا في معجم لغة من اللغات. أما في نصوص هذه اللغة واستعمالاتها، فلا وجود إلا لمعنى واحد من معاني المشترك اللفظيّ، بدعوى صلة المعنى بالسياق[٢].

وقد صرّح الدكتور رمضان عبد التواب بصلة المشترك اللفظيّ بالمشجر في قوله: «كما أفاد من ظاهرة المشترك اللفظيّ كذلك بعض علماء اللغة الذين ألَّفوا في المشجر والمداخل والمسلسل...»[٣].

قلت: وينفرد صنيع أبي الطيّب اللغويّ من بين أصحاب المشجرات بتوظيف الاشتراك اللفظيّ توظيفاً رائعاً، بَنى عليه أشجاره على ما وصفنا قبل. ولنعزِّز بمثالين اثنين هنا. في «شجرة الهلال» قدّم اللغويُّ اثني عشر

(١) «معجم مصطلحات أصول الفقه»، مصدر سابق، مادة (المشترك) و(المشترك اللفظي) بتصرّف يسير.

(٢) ينظر للاستزادة: «فصول في فقه اللغة»، ص٣٣٤.

(٣) المصدر السابق، ص٣٣٦.

معنى مشتركاً للفظة «الهلال»، وهي الشجرة الثانية من شجرات كتابه، وكما يأتي:

فالهلالُ: هلالُ السماء...،

والهلال: حديدة كالهلال بيد الصائد يُعَرقِبُ بها الحمار الوحشيّ...،

والهلال: ذُؤابة النّعل...،

والهلال: قطعة من الإِهْباء وهو الغبار...،

والهلال: ما أطاف من اللحم بظُفر الإصبع...،

والهلال: قطعة من رَحى...،

والهلال: سَلخ الحيَّة...،

والهلال: مقاولةالأجير على الشهور...،

والهلال: المباراة في رِقَّة النسيج...،

والهلال: المباراة في التهلُّل...،

والهلال: جمع هَلَّة وهي المُفْرحة، ومنه يُقال: قَدِم فما جاء بَهلَّة ولا بِلَّة...،

والهلال: الثعبان...،

والهلال: بقية الماء في الحوض...،

وفي الشجرة الرابعة من كتابه «شجرة العين»، قدّم للفظة «العين» ثمانية معان مختلفة، فهي:

العين: عينُ الوَجه...،

والعين: عين الشمس...،

والعين: النقد...،

والعين: موضع انفجار الماء...،

والعين: عين الميزان...،

والعين: مطر لا يُقْلِع أياماً...،

والعين: رَئيس القوم...،

والعين: نفس الشيء...،

والعين: الذّهب...

فيكون أبو الطيب اللغويّ بذلك قد أضاف خِصّيصة إلى خصائص معجمه المجنّس «شجر الدرّ»، وهي التعريف بكمٍّ مُعتبر من المشترك اللفظي في اللغة العربية.

وإن اتّخذ أبو الطيّب اللغويّ الاشتراكَ اللفظيّ سبباً لتقديم كتابه في قالب تصنيفيّ مشوّق، فقد اتَّفق لأبي عمر المُطرّز شيء من الاشتراك اللفظيّ في كتابه «المُداخل»، لعلّه قدحَ الفكرة عند اللغويّ، فبنى عليها وتوسّع فيها.

قال المُطرّز في باب الكِربز: «والسَّدّ: السَّلَّة، والسَّلَّة: النّاقة لم يبق لها سن من الكِبَر... إلخ.

والسَّلَّة أيضاً: السّرقة، والسَّرِقة والسَّرَقة (بالفتح): واحدة السَّرِق...»[١].

---

(١) «المُداخل»، ص٢٧.

وفي باب باب اللَّعا[١]، قال: «والصيد: ما يصاب بطلب، فيؤخذ باليد... إلخ. والصيد: الماء يُصاب بلا طلب...».

فقدّم في المثال الأول معنيين مختلفين لمفردة «السَّلَّة»، وفي الثاني معنيين لمفردة «الصيد».

وختاماً، حريّ بنا الإشارة إلى صنيع السيّد أبو السعادات ابن الشَّجَريّ الحسنيّ (ت ٥٤٢هـ) في هذا الباب في كتابه الجليل «فيما اتفق لفظه واختلف معناه»، فهو مِصداق قول الدكتور عبد التوّاب المنقول آنفاً، فقد بناه على تتبّع المشترك اللفظيّ في اللغة، وهو نافع في بناء مُشجّر على أيّ منهج اختار صاحبه من مناهج المصنفين في هذا الفنّ، لكنّه أنفع وأجدى لمن أراد احتذاء صنيع أبي الطيّب اللغويّ.

ولنعزّز ذلك بمثال من كتابه، فبالمثال يتّضح المقال. قال ابن الشجريّ في مادّة (غَرَب) من كتابه: «الغَرَبُ: الماء الذي يسيلُ بين الحوض والبئر.

والغَرَبُ: ضربٌ من الشجر.

والغَرَبُ: سهم يصيب، فلا يدرى من الرامي. يُقال: أصابه سهم غَرَب!

والغَرَبُ: في عين الشاة: داء يسقط منه شعر عينها»[٢].

المشجّر والأضداد:

والحديث على الأضداد فرعٌ عن الحديث على المشترك اللفظيّ، إلا أنّ المعاني التي ينصرف إليها اللفظ متضادّة. وقد نصّ الإمام السيوطيّ على أنّه

---

(١) المصدر السابق، ص٦٢.

(٢) «ما اتفق لفظه واختلف معناه» لابن الشجريّ، ص٣٠١، المادة (٩٦٥).

من المشترك، مُصدّراً بحثه في الأضداد من «المزهر» بالقول: «هو نوع من المشترك»[١].

والأضداد في اللغة هي الكلماتُ المتَّحدة في اللفظ المتضادّة في المعنى، مثل: «قُرْء» للطُّهر والحيض، و«جَون» للأسود والأبيض.

قال الإمام ابن فارس في «الصاحبيّ»: «من سنن العربِ في الأسماء أن يُسَمُّوا المتضادَّين باسمٍ واحد، نحو: الجَوْن للأسود والجَوْن للأبيض»[٢].

وبغضّ الطرف عن الخلاف الحادّ بين علماء العربيّة في إثبات التضادّ أو نفيه أو التوسّط بين القولين، فقد وقفتُ على عدد من المواضع التي أورد فيها مُصنِّفو المُشجّرات نماذج من التضادّ أو نصّوا عليه في سياق سردهم للمفردات المتداخلة.

قال أبو عمر المطرِّز في «المداخل»: «والفَناء: الثناء في بعض اللغات، والثناء: المدح والذمّ...»[٣] إلخ. يعني: هو ضدّ!

وقال في موضع آخر: «والخَيل: الظنُّ، والظنّ: القَسَم. قال: وأخبرنا ثعلبُ، عن سلمة، عن الفرّاء، قال: من العرب من يقول: أظنُّ إنّ زيداً

(١) «المُزهر»، ١/ ٣٨٧.

(٢) أورده السيوطيّ في «المُزهر»١/ ٣٨٧، وما وقفت عليه في مطبوعة «الصاحبيّ» بتحقيق الأستاذ أحمد حسن بسج ولا تحقيق الدكتور عمر الفاروق الطبّاع، ولا في الموسوعة الشاملة!

(٣) «المداخل»، ص٦٤.

لخارج، بمعنى: والله إن زيداً لخارج.»[١]. قلتُ: وهو ضدّ أيضاً، فالخَيل هنا مصدر خالَ - يخال خَيْلاً ومَخِيلَة، بمعنى ظنَّ وتوهَّم!

أمّا ابن الأشتركونيّ فقد نصّ على التضادّ في غير موضع من «المُسلسل». قال في أحدها: «والجازع: الخائف، والخائف: الراجي، والرَّاجي: الخائف - ضدّ»[٢].

وقال في موضع آخر: «والعِرض: الوادي، جانب الوادي، والوادي: الغارِم، والغارم: الغريم - ضدّ»[٣]، يعني: الدائن والمدين.

وما وقفتُ على شيء من الأضداد في «شجر الدُّرّ» للغويّ خلال استعراض سريع لمادّة الكتاب، وفيما نقلنا عن المطرِّز وابن الأشتركونيّ كفاية في إثبات الصلة بينّ المشجّر والأضداد، والله تعالى أعلم!

المشجَّر والتطوّر الدلالي:

التطور الدلاليّ[٤] هو تغير معاني الكلمات، بما يُكسِبُ الكلمة أشباهاً جديدة لم تكن لها من قبل. ومن مظاهره الرئيسة التي تصدق على اللغات جميعاً:

---

(١) المصدر السابق، ص٧٦.

(٢) «المسلسل»، ص٤٨.

(٣) المصدر السابق، ص٥٢.

(٤) انظر للتوسع في موضوع التطور الدلالي: «المزهر» للسيوطيّ، معرفة العامّ والخاصّ، و«الترادف في اللغة» لحاكم مالك ص١٣-٢٧، و«منهج النقد التاريخيّ الإسلاميّ والمنهج الأوربيّ» للدكتور عثمان مُوافي، ص١٤ فما بعدها.

▪ تخصيص العام أو التضييق في المعنى.

▪ تعميم الخاص أو التوسع في المعنى.

▪ تغيير مجال الدلالة، ويجري على سبيلين: الاستعارة والمجاز المرسل.

ودوران المفردات في الحياة اللغوية يتماشى مع التطور المعرفي لحياة الإنسان، وبذا يمكن تمييز ثلاث مراحل معرفية تمثل محطات انتقالية للمفردات، في سُلّم التطور الدلالي، وهي:

▪ المعرفة المادية الحسية.

▪ المعرفة النفسية الحدسية.

▪ المعرفة العقلية المعنوية[١].

يقول كاسيرر: «الكلام الإنساني يتطوّر من مرحلة حِسيَّة نسبياً إلى مرحلة أكثر تجريداً، والأسماء الأولى لدينا: أسماء محسوسة تقرن نفسها بفهم حقائق وأفعال خاصة، وكل الظلال التي نجدها في تجربتنا المحسوسة توصف بدقة وتفصيل، لكنها لا تندرج تحت جِنس مُشترك...»[٢].

فالتطور الدلاليّ للمفردات أثرٌ من آثار مواكبة اللغات لتطور الحياة البشرية، وتبدّلها زماناً ومكاناً، وهو من الآثار التي تُشعِر بحيوية اللغات.

---

(١) «منهج النقد التاريخيّ»، المصدر السابق، ص١٤-١٥.

(٢) أرنست كاسيرر: «المدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية»، ص٢٣٧-٢٣٨. وأرنست كاسيرر (١٨٧٤ - ١٩٤٥م): فيلسوف ومربّ ألمانـي. عُرف بغزارة الإنتاج وبتحليله وتعليله للقيم الثقافية. من مؤلفاته: «فلسفة الأشكال الرمزية Die Philosophie der symbolischen Formen» في ثلاثة مجلدات. منقول عن موقع فلسفة بالوصلة: www.fourar.tk.

ولو عدنا نتلمَّس أثر التطور الدلاليّ في دراسة فنّ المشجّر، ورغم أننا سنقف في صنيع المطرّز وابن الأشتركونيّ على بعض الشواهد من خلال دوران مفردة في سلسلة الباب، لتعود ذاتها بمعنى آخر؛ إلا أنّ صنيع أبي الطيب اللغوي يبقى متميزاً، يرفد الدارسَ بالشاهد تلو الآخر، شواهد تعين على دراسة ظاهرة التطور الدلاليّ للمفردات في اللغة العربية، فكلّ شجرة من شجر درِّه مثالٌ ناطق بذلك..

لو عدنا قليلاً إلى الوراء، إلى النموذج الثاني الذي قدمناه من كتابه «شجر الدرّ»، فماذا نجد؟!

لو جرّدنا جذع الشجرة (شجرة العين) وتركنا فروعها جانباً؛ سنحصل على الآتـي:

العَيْنُ: عينُ الوَجْه...، والعين: عين الشمس...، والعين: النقد...، والعين: موضع انفجار الماء...، والعين: عَيْنُ الميزان...، والعين: مَطَرٌ لا يُقْلِع أياماً...، والعين: رَئِيس القوم...، والعين: نفس الشيء...، والعين: الذّهب...

فأنت ترى أنَّه قدَّم تسع دلالات لمفردة «العين»، بدأها بأصل المعنى، وهو: عين الوجه، أو الباصرة. وهو معنى ماديّ حسيّ.

ثمّ والى المعاني الأُخرى التي كانت بين استعارة ومجاز مرسل، متدرجة في سُلّم التدرج المعرفيّ-وإن لم يكن التدرج متسلسلاً- بين حسيّ وحدسيّ ومعنويّ.

غير أن تمييز الاستعارات عن المجاز المرسل لا يكون إلا بدخول المفردة في سياق نستطيع به التعرّف إلى القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصليّ، أو العلاقة بين المعنى الأصليّ والمعنى العارض؛ سببيّة كانت أو جزئيّة أو كليّة، أو باعتبار ما كان، أو ما يكون.. وغير ذلك من القيود الملازمة لتمييز الاستعارة من المجاز المرسل.

هذه إشارات عابرة لصلة المشجّر بالتطور الدلاليّ، والموضوع يستأهل بحثاً مستقلاً يتناول صنيع أبي الطيّب اللغويّ أولاً، ويمكن أن يُحصي الشذرات التي وقعت للإمامين الآخَرَين (المُطرّز وابن الأشتركونيّ) بغية الدراسة المقارنة.

المشجَّر والاشتقاق:

ذكروا في أنواع الاشتقاق أربعة، هي: الاشتقاق الأصغر، وهو الصرفيّ، والكبير وهو التقليب، والأكبر، وهو الإبدال، والكُبّار، وهو النحت[1].

ولا يخفى ما للاشتقاق من أهمية في الدراسات اللغوية: صرفيّة ومُعجميّة، خاصّة عندما تكون الشواهد من عصور الاستشهاد، كما في مرويات أبي عمر المطرّز وبعض روايات أبي الطيّب اللغويّ في مُشجّريهما.

وقد وقع لي في تضاعيف المشجرات الثلاثة شواهدُ لها صلة وثيقة بالاشتقاق بأنواعه، وخاصة الأنواع الثلاثة الأولى منه (الأصغر والكبير

(١) ينظر في الاشتقاق: «دراسات في فقه اللغة» للدكتور صبحي الصالح، ص١٧٣-٢٧٤، و«فصول في فقه اللغة» للدكتور رمضان عبد التواب، ص٢٩٠-٣٠٧، وغيرهما.

والأكبر) وهي تمثّل شواهد مهمة وموادّ لغويّة تستحق الجمع والعرض على مواضعها في المعجم العربيّ لتحديد الزيادات الأصيلة التي قد تقدّمها بعض تلك المواد. وهذه بعض الشواهد التي وقعت لي في النماذج المعروضة آنفاً من المشجرات الثلاثة:

قال أبو عمر المطرِّز في «المداخل»: «والمجدل: القصر، والقصر: المنع والحبس، يُقال: قصر جاريته؛ إذا منعها من التبرُّج، فهو قاصِرٌ، وهي: مقْصُورة وقَصِيرة وقَصُورَة...».

قلت: قوله: «وهي: مقْصُورة وقَصِيرة وقَصُورَة...» من الاشتقاق الأصغر، أي: الصرفيّ.

وقال أيضاً: «قال ثعلبُ، عن ابن الأعرابي: البهاتر والبحاتر: القصائر. قال القاضي: يُقال: بُحْترة وبُهترة».

فقوله: «البهاتِر والبحاتِر» و«بُحْترة وبُهترة» من الاشتقاق الأكبر، لما فيه من إبدال.

وقال أبو الطيّب اللغويّ في «شجر الدر»: «والكَسْر: جانب الخِباء، والخباء: مصدر خابأتُ الرجلَ؛ إذا خبَّأتَ له خبأً وخبَّأَ لك مثلَه...».

وقال: «والنّبي: التلّ العالي، والتلّ: مصدرُ التَّليل وهو المصروع على وجهه...».

وقال أيضاً: «والصاحب: سيف، والسيف: مصدر ساف ماله إذا أوْدَى...».

وقال ابن الأشتركونيّ في «المسلسل»: «والنصيب: حجارة حول شفير الحوض، والحوض الصغير: الخَريص والخَرص...».

قلت: وجميع ما سبق من الاشتقاق الأصغر (صرفيّ).

فالصلة بين المشجر والاشتقاق وثيقة بيّنة؛ إذ غالباً ما تأتي استطراداتُ أصحاب المشجرات بفوائد اشتقاقية بأنواعها.





الفصل الخامس

تطبيقات المشجّر في غير مصادره

الفصل الخامس

تطبيقات المشجّر في غير مصادره

تمهيد:

رأيتُ من تمام التنويه بهذا الفنّ اللغويّ الطريف وبيان أثره في النصّ اللغويّ والأدبيّ وحتّى الدينيّ من تراثنا المجيد، أن أُفرد للوِجادات الثمينة التي وقفت عليها فصلاً برأسه[١]، سواء كانت الوجادة في صُلبه أو قريبة من إحدى صُوَرِه التي بيّنّاها في ثنايا الكتاب قبل، ليُختم الفصل بتطبيق من صُنع مؤلّف هذا الكتاب على منوال ما صنع الإمام أبو الطيّب اللغويّ في «شجر الدرّ».

نصّ قريب من الكتاب العزيز:

جاء في القُرآن العظيم ما يُشبه توالي التعريفات على المنوال الذي نراه في المشجّر، وذلك في قوله -تبارك وتعالى!- من سورة النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ...﴾[٢] الآية.

---

(١) بعد أن كانت مُدرجة في سياق استعراض الجهود السابقة في المشجّر.

(٢) سورة النور: ٣٥.

فتوالي البيان والشرح ظاهر في الآية الكريمة..

«اللهُ نور...

«مثلُ نوره كمشكاة في مصباح...

«المصباح في زجاجة...

«الزجاجة كأنّها كوكب دُرّي...

فتأمّل هذا التوالي في الآية، وقُربه من توالي التعريفات في «المداخل» و«المسلسل».

تطبيقان من «نهج البلاغة»:

واتفق للإمام عليٍّ من توالي التعريفات ما يدخل في صُلب تعريف المشجّر، إذ قال فيما نقله عنه الشريف الرضيّ في «نهج البلاغة»: «لأنسبَنَّ الإسلام نسبةً لم يَنْسُبْها أحدٌ قبلي. الإسلام: هو التسليم، والتسليم: هو اليقين، واليقين: هو التصديق، والتصديق: هو الإقرار، والإقرار: هو الأداء، والأداء: هو العمل»[1]. وهذه وجادةٌ نفيسة في تاريخ هذا الفنّ؛ وربما كانت الومضةَ التي قدحت لمبتكر هذا الفن أصلَ الفكرة، فنسج على منوالها.

وفي نصٍّ آخر من «النهج» قريب من المشجَّر، قال -عليه السلام -: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ»، إلى أن يقول: «أَوَّلُ الدِّين: مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ: التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ: تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ:

(١) «نهج البلاغة»، قصار الحكم ١٢٥، ص٤٩١ من نسخة العلامة الدكتور صبحي الصالح، رحمه الله تعالى!

الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ: نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ: أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ...»[(١)].

فتأمّلوا هاتين الوجادتين الثمينتين من هذا السفر الكريم، فهما في غاية الأهميّة، وربما كانتا سبباً في قدح فكرة المُداخل، كما أسلفنا.

تطبيق قريب من رسائل الجاحظ:

اتَّفق لإمام المُترسّلين في عصره أبي عُثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) شيءٌ من توالي البيان والتسلسل في التعريف، جاء قريباً من المشجّر، وهو قوله في بعض رسائله: «أَكْثَرُ النّاس سَماعاً: أَكْثَرُهُمْ خَواطِرَ، وَأَكْثَرُهُمْ خَواطِرَ: أَكْثَرُهُمْ تَفَكُّراً، وَأَكْثَرُهُمْ تَفَكُّراً: أَكْثَرُهُمْ عِلْماً، وَأَكْثَرُهُمْ عِلْماً: أَرْجَحُهُمْ عَمَلًا -كَما أَنَّ أَكْثَرَ الْبُصَراءِ رُؤْيَةً لِلْأَعاجيبِ أَكْثَرُهُمْ تَجارِبَ؛ وَلِذلِكَ صارَ الْبَصيرُ أَكْثَرَ خَواطِرَ مِنَ الْأَعْمى، وَصارَ السَّميعُ الْبَصيرُ أَكْثَرَ خَواطِرَ مِنَ الْبَصيرِ ! وَعَلى قَدْرِ شِدَّةِ الْحاجَةِ تَكونُ الْحَرَكَةُ، وَعَلى قَدْرِ ضَعْفِ الْحاجَةِ يَكونُ السُّكونُ- كَما أَنَّ الرّاجِيَ وَالْخائِفَ دائِبانِ، وَالْآيِسَ وَالْآمِنَ وادِعانِ!»[(٢)].

---

(١) «نهج البلاغة»، من خطبة يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، الخطبة (١)، ص٣٩.

(٢) وقفتُ على هذه القطعة في «رسائل الجاحظ» ١/ ٢١١، نسخة الشاملة، وترقيمها غير موافق للمطبوع. وهي من «كتابه في حُجج النبوة»، المطبوع ضمن الفصول المختارة، اختيار عبيد الله حسّان، والمطبوعة بهامش «كامل المبرّد» سنة ١٣٢٣-١٣٢٤هـ بجزأين، وما اطلعتُ على هذه النسخة.
أشار إليها العلامة عبد السلام هارون في مقدّمة تحقيقه المشهور لـ«رسائل الجاحظ» ١/ ٨ و٩، ضمن حصره لما نُشر تحت عنوان «رسائل الجاحظ»، ووصفها ثمّة بمجموعة من الاختيارات المبتورة.

صنيع الإمام أحمد بن فارس:

ومن الوجادات الثمينة في هذا، صنيعُ الإمام أحمد بن فارس (ت٣٩٥ هـ) الذي أسنده العلامة ابن بنين الدقيقيّ النحويّ في كتابه «اتفاق المباني واختلاف المعاني» سابق الذكر.

قال ابن بنين تحت عنوان «فصل العين»: «وأما اتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين، فممّا أنبأني به الشيخ الإمام العالم زين الدين أبو الحسن، علي بن إبراهيم ابن نجا المقدسيّ -رحمه الله!- قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن، سعد الخير بن محمد الأنصاريّ، وقال: أخبرنا أبو الفتح، سليم بن أيوب الرازيّ والفقيه بصور، قال: أنشدني الشيخ الإمام أبو الحسين، أحمد بن فارس اللغويّ مُصنف (المُجمل) لنفسه:

يا دارَ سُعْدَى بذات الخال من إضمِ — سقاك صوب حياً من واكفِ العينِ

العين هنا: سحاب ينشأ من قبل القبلة.

إني لأذكُرُ أياماً بها ولنا — في كلّ إصباحِ يومٍ قُرّة العين

العين هنا: عين الإنسان وغيره.

تدني مُعشَّقة منا معتَّقة — تشجُّها عذبةً من نابعِ العين

العين هنا: ما ينبع منها الماء.

إذا تمزَّزها شيخٌ به طَرَق — سرت بقوَّتها في الساقِ والعين

العين هنا: عين الركبة والطرق ضعف الركبتين.

والزِّق ملآنُ من ماء السرور فلا　　تخشى تولُّهَ ما فيهِ من العين

العين هنا: ثقب يكون في المزادة وتوله الماء أن يتسرّب.

وغابَ عذَّالنا عنّا ولا كدر　　في عيشنا من رقيب السوء والعين

والعين هنا: الواشي.

يُقسِّم الودَّ فيها بيننا قِسَماً　　ميزانُ حقٍّ بلا بخسٍ ولا عين

العين هنا: العين في الميزان.

وفائضُ المالِ يغنينا بحاضره　　فنكتفي من ثقيل الدين بالعين

العين هنا: المال الحاضر الناضّ.

والمُجمل المجتبى تغني فوائده　　حفّاظه عن كتاب الجيم والعين

والعين هنا: الحرف»[1].

وهي وجادة طريفة، لما في صنيعه من تفريع على مُفردة «العين» مع التمثيل لكلّ معنى من معانيها المختلفة ببيت شعر من نظمه، وصلته بالمشجّرات لا تخفى مِن وجوه، فقد شابه صنيع أبي الطيّب اللغويّ في كتابه بالتشجير على مفردة أصليّة، وجاء مشابهاً جدّاً لأصل «شجرة العين» عنده. وشابه أيضاً صنيع ابن الأشتركونيّ في كتابه ببدء الفصل ببيت شعر وختمه ببيت أيضا. ولا يُعوزه ليندرجَ تحت هذا الفنّ سوى إكمال فروع الشجرة بمداخلة المفردات، كما هو الحال في المشجّرات.

---

(١) «اتفاق المباني واختلاف المعاني» لابن بنين الدقيقيّ النحويّ، ص١٠٧ و١٠٨.

صنيع ابن بنين الدقيقيّ في «اتفاق المباني»:

أخلصَ العلامة سُليمان بن بنين الدقيقيّ النحوي ثُلُثي كتابه «اتفاق المبانيّ وافتراق المعانيّ» للباب الثاني منه «اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين» ويدور كما هو واضح من العنوان حول الاشتراك اللفظيّ.

وقد استهلَّ الباب بصنيع الإمام ابن فارس آنف الذكر، ثمّ أردف بعده مقدّمة كلام أبي الطيّب اللغويّ في «شجر الدّرّ»، و«شجرة العين» منه تامّة بفروعها الثمانية. ومع أنّه أنشأ عشرات الفصول في الاشتراك اللفظيّ، إلا أنّه توكّأ كليّاً على كتاب اللغويّ، فاقتبسَ مُعظمه. فـ«شجر الدّرّ» للغويّ يتضمّن ستّ شجرات، خمسة منها بفروع والسادسة لا فروع لها. والذي أدرجه في الباب الثاني من كتابه أربع شجرات من ستّ، وهي على الترتيب: شجرة العين (الرابعة في ترتيب اللغويّ) – شجرة الثور (الثالثة في ترتيبه) – شجرة الهلال (الثانية في ترتيبه) – شجرة الرُّؤبة (الخامسة في ترتيبه)[1].

وصنيعُهُ في الفصول التي فَطَرها من نفسه مُهمّ في بابه، وهو بأهميّة الجهود المبذولة في المشترك اللفظيّ لابن الشَّجريّ وقبله ابن فارس وغيرهما، إلا أنَّ اقتباسه لأبواب «شجر الدّرّ» أهمّ برأيي؛ لأنَّه قدَّمها هنا كمادة لغويّة خالصة، لا على أنّها فنّ للإمتاع والمؤانسة. وهي التفاتة مُبكّرة لأهميّة المادة اللغويّة المحشودة في المُشجَّرات.

---

(١) «اتفاق المباني وافتراق المعاني»، شجرة العين: ص١٠٧-١٢١، وشجرة الثور: ص١٤٧-١٥٩، وشجرة الهلال: ص١٦٣-١٧٩، وشجرة الرؤبة: ص١٨١-١٨٩.

ولمحة أخيرة بشأن اقتباس ابن بنين ثُلثي كتاب أبي الطيّب اللغويّ، فلَكَم تمنَّيتُ أن يطّلع مُحقّق كتاب «شجر الدّرّ» الأستاذ محمّد عبد الجواد على كتاب ابن بنين الدقيقيّ ويعتمد الشجرات الأربع التي اقتبسها ابن بنين بتمامها في تحقيق «شجر الدّرّ»، خاصّة إذا ما تذكّرنا أنّ أقدم النسخ التي اطّلع عليها المحقّق كانت نسخة الإمام السيوطيّ التي نسخها سنة ٨٦٧هـ، لكنّها ناقصة! وهو ما حدا به إلى اعتماد نسخة طلعت باشا أصلاً مُعوّلاً عليه[1]، مع أنّها نُسخت سنة ١٣٠٨هـ . في حين ترقى أقدم نُسخ كتاب ابن بنين إلى ما بين سنة ٥٨٥ هـ وسنة ٦١٢هـ[2]!!

وربما كان هذا مسوّغاً قويّاً لإعادة تحقيق الكتاب، باعتماد القدر الذي تضمَّنه كتاب ابن بنين من «شجر الدّرّ» ضمن الأصول التي يراجع عليها النصّ، فبين أقدم نُسخ «اتفاق المبانيّ وافتراق المعانيّ» ونسخة طلعت باشا من «شجر الدّرّ» ما يربو على ٧٠٠ سنة.. وكفى به مسوّغاً لإعادة التحقيق والنشر!

تطبيق للشيخ الأكبر في «الفتوحات المكيّة»:

ربما كانت هذه الوجادة هي الأغلى والأعلى بين وجادات هذا الفصل، ذلك أنّها في صُلب هذا الفنّ وصميمه، مع معرفة المصنّف بفنّ المُشجّر (أو مسلسل ابن الأشتركونيّ الأندلسيّ على الأقلّ) وذكره له تصريحاً في آخر الفصل الذي عقده على هذا المنوال، كما سيأتي.

---

(١) «شجر الدّرّ»، مقدمة المحقّق، ص٣٤.

(٢) «اتفاق المباني وافتراق المعاني»، مقدمة المحقّق، ص٦٨.

فقد قصدَ الشيخُ الأكبر ابن عربـيّ[1] في كتابه «الفتوحات المكية» أن يُجري بعض تعريفاته مجرى المسلسل من لُغة العرب، وهو فصلٌ عجيب في بابه تَخِذ فيه الشيخُ السؤال والجواب وسيلة لصياغة مُسلسله وتحرير تعريفاته.

وقد بدأ ابن عربي فصله هذا الذي اختار له مُحقّق الكتاب عنوان: «مساق المسلسل في لغة العرب: شرحُ ألفاظِ اصطلاح القوم»، بتعريف «التحلِّي» في الفقرة ١٣٥ منه، وانتهى بتعريف «الهاجس» في الفقرة ٣٠٥ منه، مروراً بثمانين ومائة تعريف، أي ما مجموعُه (١٨٢) اثنان وثمانون ومائة تعريف مُتناسب.

وقد بيّن ابن عربيّ الفائدة المتحصّلة من صنيعه هذا، إذ قال في خاتمة هذا الفصل ما نصّه: «فهذا قد بيّنّا لك ارتباطَ المقامات والمراتب بضربٍ مِن التّناسُب، وتَعَلُّقَ بعضِها ببعض. وقليلٌ مِن أصحابِنا مَن سَلَكَ في إيضاحها هذا المسلك. وهذا مساقُ الـمُسلسل في لغات العرب. وهي طريقة غريبةٌ،

(١) ابن عربيّ (٥٥٨-٦٣٨هـ): مُحيي الدين، محمد بن علي بن محمد بن عربيّ الطائيّ الأندلسيّ. من مشاهير الصوفيّة وأحد علمائها. لُقِّب بالشيخ الأكبر وإليه تُنهى الطريقة الأكبريَّة. ولد بمَرسية من الأندلس وتوفي بدمشق ودفن فيها. كان عالماً بالآثار والسُّنن، قويَّ المشاركة في العلوم، تنقل بين البلاد، واستقر بدمشق. من أشهر كتبه: فصوص الحكم، والفتوحات المكيَّة.
ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبيّ ٢٣/ ٤٨ و٤٩.

أشار إليها إبراهيمُ بنُ أَدْهَم[1] وغيرُه، وبان منها شرْحُ ألفاظِ اصطلاحِ القوم. فحصل من ذلك منها فائدتان: الواحدةُ: معرفةُ ما اصطلحوا عليه، والثانيةَ: المناسبات التي بينها، والله الموفّق»[2].

قلتُ: وممّا يُلمح في هذا النصّ أمور، أهمها:

- وصفه طريقة المسلسل بالغرابة رغم اتّباعه إياها وتمكّنه منها، وهو وصف يتضمن معنى الطرافة والتعجّب والاستحسان هنا.
- وعي الشيخ الأكبر التامّ بفائدة إجراء التعاريف على طريقة المشجّر، وما يُتحصّل من التعريف على منواله من معرفة مصطلحاتهم مع الرابطة التي تنتظمها، وهو تعريف إضافيّ جادت به المناسبات التي بينها.

ولم أقف على إشارة إبراهيم بن أدهم وغيره من أهل السلوك إلى فنّ المسلسل أو المشجّر، رغم طول البحث في كتب القوم.

لكنَّ كلام ابن عربي يغيّر الكثير في تاريخ هذا الفنّ، فهو يعني سبق ابن أدهم (ت ١٦٢هـ) لمصنفي المشجّرات جميعًا.

ومن تمام الفائدة في عرض صنيع الرجل في المسلسل إيراد قطعة وافية، نتبيّن منها منهجه في التعريفات، ونتحسَّس شيئاً من التناسب بين المصطلحات.

---

(١) إبراهيم بن أدهم (... – ١٦٢هـ): ابن منصور بن يزيد، أبو إسحاق العجليّ التميميّ. زاهد ناسك من كبار الصوفيّة، وكان مُحدّثاً. وثقّه النسائيّ والدارقطنيّ، وأخرج له البخاريّ والترمذيّ. ترجمته في «طبقات الصوفية» للسُّلَمي ص٣٥ وغيره.

(٢) «الفتوحات المكية»، السفر الثالث عشر، ج٩١/ ب ٧٣/ الفقرة ٣٠٦، ص٢٣٥.

قال الشيخ الأكبر ابن عربـيّ في «الفتوحات»: «... فإن قلت: وما **الوارد**؟

– قلنا: الوارد هو ما يَرِد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعَمُّل، وكلُّ ما يرد على القلب من كلّ اسم إلهيّ. وهو الذي يعطي أحياناً: **حقَّ اليقين**.

فإن قلت: وما حقُّ اليقين؟

– قلنا: حق اليقين هو ما حصل من العلم بالعِلّة، ولكن بعد: **عين اليقين**.

فإن قلت: وما عينُ اليقين؟

– قلنا: عينُ اليقين هو ما أعطته المشاهدة وأعطاه الكشف ابتداءً، أو بعد: **علم اليقين**.

فإن قلت: وما علمُ اليقين؟

–قلنا: علمُ اليقين هو ما أعطاه الدليل الذي لا يحتمل الشُّبَه الواردة من: **الخاطر**.

فإن قلت: وما الخاطر؟

– قلنا: الخاطر هو ما يردُ على القلب والضمير من الخطاب: ربّانياً كان أو غيرَ ربّانيّ، ولكن من غير إقامة؛ فإن أقام الخاطر في القلب أو الضمير، فهو حديثُ نَفْس، فصاحبُه ثَمّة مفتقر إلى: **النَّفَس**.

فإن قلت: وما النَّفَس؟

– قلنا: النَّفَس هو رَوْحٌ يُسلّطه الله على نار القلب ليطفئ شررها؛ لأجل سلطان: **الحقيقة**.

فإن قلت: وما الحقيقة؟

– قلنا: الحقيقة هي سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه:بأنه هو الفاعل بك، فيك، منك؛ لا أنت الفاعل بك، فيك، منك!

﴿مَا مِنْ دَابَّـةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾[1]، فكأنه – أعني هذا السلب لآثار أوصاف العبد – حالُ: **بُعد**.

فإن قلت: وما البُعد؟

– قلنا: البعدُ هو الإقامة على المخالفات. وقد يكون البعدُ منك ويختلف باختلاف الأحوال، فيدلّ على ما تعطيه قرائن الأحوال. وكذلك: **القربُ**.

فإن قلت: وما القرب؟

– قلنا: القربُ هو القيام بالطاعة. وقد يطلق القرب على حقيقة (قاب قوسين) وهو قَدْر الخط الذي يقسم قُطري الدائرة، فيشقها بقسمين. وهو غاية القرب المشهود، ولا يدركه إلا صاحب **إثبات**، لا صاحب **محو**.

فإن قلت: فما المحو وما الإثبات؟

– قلنا: الإثبات هو إقامة أحكام العبادات وإثبات المواصلات. وأما المحو، فهو رفع أوصاف العادة وإزالة العلَّة. وهو أيضاً ما ستره الحقّ ونفاه، وعنه يكون: **الذوق**.

---

(١) هود: ٥٦.

فإن قلت: وما الذوق؟

– قلنا: الذوق هو أول مبادي التجلّيات الإلهية، المؤدية إلى: **الشُّرب...**» إلخ[1].

قلتُ: مَن يقرأ فصل المسلسل في «فتوحات» ابن عربيّ يجد انسياباً عجيباً للتعريفات، وتناغماً عالياً للمناسبات، وتنقُّلاً رشيقاً بين المصطلحات بلغة أهل العرفان والسلوك، ولا غَرو، فهو ابن بَجْدتها!

لقد ربط الرجل بين «الوارد» و«حقّ اليقين» بقوله: «وهو الذي يُعطي أحياناً حقَّ اليقين». ثم ناسب بين «حقّ اليقين» و«عين اليقين» و«علم اليقين»، وهي مراتب اليقين كما ذكرها غير واحد من المفسرين عند شرحه. فالمناسبة عنده بين «حقّ اليقين» و«عين اليقين» أن الأول يأتي بعد الثاني، وكذلك بالنسبة لـ«عين اليقين» و«علم اليقين». فحصل من المناسبة بين هذه المصطلحات تعريف وتصنيف وترتيب، فتأمّل!

وناسب بين «الحقيقة» وحال «البعد»، وقرن بين «البعد» و«القرب» لما بينهما من مُشاكلة واشتراك في اختلاف كلٍّ منهما باختلاف الأحوال والدلالة على ما تُعطيه قرائن الأحوال. فسلك «القرب» في مُسلسله من بوابة ضِدّه «البُعد»، مع بيان ما بينهما من اشتراك وتناسب في الاختلاف باختلاف الأحوال والدلالة على ما تعطيه قرائنها.

---

(١) «الفتوحات المكية»، السفر الثالث عشر، ج٩١/ ب ٧٣/ الفقرة ٢٥٩، ص٢١٣-٢١٧.
وقد أفدتُ هذه الوجادة الثمينة من أحد المشاركين في منتديات مجالس «ألوكة»، واسمه المستعار ثمّة «الواحديّ». تُنظر مشاركته بالوصلة:

http://majles.alukah.net/showthread.php?p=346649

ثم انتقل للمناسبة بين «القرب» و«المحو والإثبات» من طريق حقيقة «قاب قوسين» التي هي غاية القرب المشهود عنده، ومن «المحو» إلى «الذوق» إلى «الشرب»، وهكذا.

إذاً، فالشيخ الأكبر قدّم في فصله هذا مُعجماً من معاجم المعاني للمصطلحات الصوفيَّة، أفدنا منه حُصول العلم بتعريف مصطلحاته، والمناسبات التي بينها.. وصنيعه يستحقّ وقفة أطول وجهداً أكبر من هذه العُجالة التي تناسب منهجنا في هذا الكتاب، عسى أن يتّسع لها صدر كتاب آخر في التذوّق اللغويّ عند أهل السلوك والعرفان.

تطبيق الحافظ ابن حجر في «نزهة النظر»:

وربما اتَّفق توالي التعريفات في معرض الشرح، كما اتَّفق للحافظ ابن حجر العسقلاني[1] في كتابه «نزهة النظر شرح نخبة الفكر»، وهو قوله: «... والمرادُ بالطُّرُقِ: الأسانيدُ، والإِسنادُ: حكايةُ طريقِ المَتْنِ، والمتن: هو غاية ما ينتهي إليه الإسناد من الكلام»[2]، فقارن وتأمل!

(١) ابن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ): هو أبو الفضل، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكنانيّ العسقلانيّ المصريّ الشافعيّ. حافظ الدنيا في عصره وقاضي القضاة. ولد بمصر العتيقة، وعانى أولاً الأدب ونظم الشعر، فبلغ فيه الغاية، ثمّ طلب الحديث. صنَّف التصانيف التي عمَّ نفعها، كـ «فتح الباري» وأشياء كثيرة جداً تزيد على المائة، وأملى أكثر من ألف مجلس. ترجمته في «ذيل طبقات الحفاظ» للسيوطيّ، ص٣٨٠-٣٨٢ وغيره.

(٢) «نُزهة النظر»، ص٢٣-٢٤.

صنيع التلمسانيّ في شرحه على «شطرنج العارفين»:

سلك الشيخ محمد بن الهاشميّ الحسنيّ التِّلِمْسانيّ في شرحه على «شطرنج العارفين» المنسوب للشيخ الأكبر ابن عربيّ مسلك المسلسل في شرحه. وهاك نموذجاً من صنيعه! قال مُبيّناً أوّل المنازل التي ينزلها العبد:

١ - «(العدم) الممكن المقابل للوجود الممكن، وهو الذي تعلّق علم الله تعالى بوجوده...» إلى أن يقول بعد كلام طويل: «فتحصّل من هذا أنّ المراد بالعدم والوجود الممكنان، فلهذا دفعه المنزلة الثانية من المنازل التي يمرّ عليها العبد في سيره إلى الله تعالى على سبيل قدرة الله، وهي: (ولادة الوجود)».

٢- «(ولادة الوجود) إمّا بمحض القدرة كأبينا آدم - عليه السلام - والأرواح والملائكة، أو بطريق الحكمة بواسطة الأبوين...» إلى أن يقول: «وهذا يدفعه إلى المنزلة الثالثة التي يمرّ عليها في مسيرة إلى الله تعالى على سبيل قدرته، وهي: (باب الرضى)».

٣- «(باب الرضى) وفي نسخة: الدنيا، وهما بمعنى واحد، ويكون مجبولاً على الرضاء، ولهذا كلّ من رآه رضي عنه وأحبّه، وهو أوّل استئناسه بهذا الوجود، وهذا يدفعه إلى المنزلة الرابعة، وهي: (الشهوة)».

٤- «(الشهوة) وهي الشهوة الحيوانية الدافعة إلى المنزلة الخامسة، وهي: (المذلّة)».

ويستمرّ في تسلسله هذا حتّى المنزلة المائة، وهي: (الشيطان)[1]، وهو جدير بالتأمّل.

تطبيق لمصنّف هذا الكتاب على المشجّر:

هذا تطبيق على المشجَّر، خاطري أبو عُذْره، تلوت فيه تِلْوَ أبي الطيب في تشجيره وحاكيته في صنيعه، لظنِّي بأنَّه مبدعٌ في هذا الفنّ مجوّد فيه، وأنَّ صنيعه أنفعُ الصنيع، من بين مصنِّفي المشجر، فخليق بمن انتدب لصنعة أن يُحاكي مُجوّدها ويُباري في الشوط مُحسّنها. على أنِّي اقتضبتها عُجالة، إذ لا طائل من ورود الإطالة، فما اشترطتُ فيها ما اشترط من عدد الكَلِم في الشجر، ولا عددها في الفروع، كي لا يخرج التطبيق عن هدفه التمثيلي، والله وليّي ومُعتصمي!

ـ شجرة اليد ـ

اليدُ: الجارحة، والجارحة: العضو الذي يُكتَسَبُ به، والعضو: واحد الأعضاء، والأعضاء: الأطراف، والأطراف: جمع طرف، والطرف: الناحية والطائفة من الشيء، والطائفة: الواحد فما فوق، والواحد: أول العدد، والعدد: الاسم من الإحصاء، والإحصاء: الحصر، والحصر: الحَبْس، والحبس: المنع، والمنع: ضد الإعطاء... إلخ.

(١) «شرح شطرنج العارفين»، ص٢١-٤٧.

ـ فرع (١) ـ

واليد: القوة، والقوة: الطاقة من الحبل، والحبل: العهد، والعهد: الأمانة، والأمانة: الوديعة، والوديعة: المقبول من المال، وهو من الأضداد، والأضداد: جمع ضدّ وضديد، والضديد: النظير، والنظير: المثيل... إلخ.

ـ فرع (٢) ـ

واليد: الذلّة والاستسلام، قال تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(١)، والاستسلام: السلام، والسلام: الاسم من التسليم، والتسليم: بذل الرضا بالحكم، والحكم: الكلمة من العِلْم، والعَلَم: العلامة، وهو أيضاً: الجبل، والجبل: الجماعة من الناس، والناس: قد يكون من الإنس ومن الجنّ، وأصله أُناس فخُفّف، والجنّ: ضدّ الإنس، وواحده جِنّي... إلخ.

ـ فرع (٣) ـ

واليد: النعمة، قال الشاعر:

يَديْتُ على ابن حسحاس بن وهبٍ بأسفل ذي الحذاة يد الكريم

والنعمة: المِنَّة، والمُنَّة: القوة، وقيل: النقص، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾(٢)، أي: غير منقوص، والنقص: مصدر المتعدي من نَقَص، والنقيصة: العَيْب... إلخ.

---

(١) التوبة: ٢٩.

(٢) التين: ٦.

ـ فرع (٤) ـ

واليد: مفردٌ جمعه الأيدي، وجمعُ الجمعِ أياد، وإياد: حيٌّ من العرب، والعُرُب: جمع عَرُوب وهي المتحبّبة لزوجها من النساء، ومنه قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[1]، والنَّسَاء: التأخير كالنَّسيئة، والتأخير: الإبطاء... إلخ.

ـ تمَت مباحثُ الكتاب بحمدِ الله وتوفيقه ـ

(١) الواقعة: ٣٧ و٣٨.

ثبت مصادر الكتاب

١ – القرآن العظيم.

٢ – الأصفهانـيّ، أبو الفرج علي بن الحسين: «الأغانـي»، دار الفكر، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٥م.

٣ – إقبال، أحمد الشرقاويّ: «معجم المعاجم، تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية»، دار الغرب الإسلاميّ، ط٢ مزيدة ومنقحة، بيروت، ١٩٩٣م، ٤١٣ ص.

٤ – ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، أبو السعادات الجَزَريّ: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، تحقيق طاهر الزواويّ ومحمود الطناحيّ، نشر المكتبة الإسلامية، ١٣٨٣ هـ.

٥ – ابن الأشتركوني، محمد بن يوسف بن عبد الله، أبو طاهر التميميّ السَّرقُسطيّ: «المسلسل في غريب لغة العرب»، سلسلة تراثنا، نشر الإدارة العامة للثقافة بوزارة الثقافة والإرشاد القومي، قدّم له وحققه وعلق عليه الأستاذ محمد عبد الجواد، وراجعه الأستاذ إبراهيم الدسوقي البساطيّ، بدون طبعة، وبدون تاريخ، إلا أن المحقق أرخ مقدمته في ١٩٥٧م.

٦ – البُّخاريّ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: «الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه» المعروف بـ«صحيح البخاري»، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البُغا، ط٤، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٠ هـ.

٧- البعلبكيّ، منير: «مصابيح التجربة»، بحث مُلحق بقاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩م.

٨- ابن بَشكوال، خلف بن عبد الملك، أبو القاسم الأندلسيّ: «الصلة في تاريخ أئمة الاندلس ومشاهيرهم»، نشر وتصحيح عزّت العطار الحسينيّ، القاهرة، ١٩٥٥م.

٩- ابن بنين الدقيقيّ النحويّ: «اتفاق المباني وافتراق المعاني»، تحقيق الأستاذ يحيى عبد الرؤوف جبر، نشر دار عمار، عمّان الأردن، ١٩٨٥م.

١٠- الثعالبي، أبو منصور إسماعيل: «فقه اللغة وسر العربية»، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١١- جاد المولى، محمد أحمد: «طريف التأليف اللغويّ»، مجلة مجمع اللغة العربية الملكيّ، الجزء الثالث، القاهرة، شعبان سنة ١٣٥٥هـ - أكتوبر سنة ١٩٣٦م، ص٣١٢-٣٢٩.

١٢- الحازميّ، حجاب بن يحيي: «التشجير في الشعر»، مجلة الحرس الوطني السعودية، السنة الحادية والعشرين، العدد ٢١٨، أغسطس ٢٠٠٠، ص٨٧-٨٩.

١٣- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: «المستدرك على الصحيحين»، طبعة دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ٤ مجلدات ضخام، مصورة بيروت.

١٤- الحريريّ، أبو محمّد القاسم بن عليّ: «مقامات الحريري»، نشر دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٥م.

١٥- الحَمْش، عداب محمود إبراهيم (الدكتور): «محاضرات في تخريج الحديث الشريف ونقده»، دار الفتح، عمّان - الأردنّ، ط٣، ٢٠٠٣م.

١٦- الحمويّ البغداديّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ البغداديّ: «معجم البلدان»، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

١٧- ابن حجر، أحمد بن عليّ العسقلانيّ: «نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر»، نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط٣.

١٨- خليل، أحمد خليل (الدكتور): «معجم المصطلحات اللغوية: عربي-فرنسي-إنكليزي»، دار الفكر اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٩٥م.

١٩- ابن خَلِّكّان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد: «وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان»، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، النهضة المصرية، السعادة، القاهرة، ١٩٤٨م.

٢٠- ابن خير، محمد بن خير أبو بكر الإشبيليّ: «فهرسة ابن خير فيما رواه عن شيوخه من الدواوين المُصَنَّفَة في دروب العلم وأنواع المعارف»، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩م، مصوّرة عن الأصل المطبوع في مطبعة فومش بسَرَقُسْطَة عام ١٨٩٣م.

٢١- ابن دريد، محمّد بن الحسن، أبو بكر الأزديّ: «جمهرة اللغة»، تحقيق الدكتور رمزي منير البعلبكيّ، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.

٢٢- الذهبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الكرديّ الدمشقيّ: «سير أعلام النبلاء»، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وزملائه، طبعة مؤسسة الرسالة.

٢٣- الرازيّ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: «مختار الصحاح»، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان- ناشرون، بيروت، ١٩٩٥.

٢٤- الرافعيّ، مصطفى صادق: «تاريخ آداب العرب»، ط١ بجزئين، سنة ١٩١١م، وصدر الثالث بعد وفاته بتحقيق محمد سعيد العريان سنة ١٩٤٠م بالقاهرة.

٢٥- الزّاهد، أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البَاوَرْدِي المطرِّز: «المداخل في اللغة»، قدّم له وحققه وعلق عليه الأستاذ محمد عبد الجواد، نشر مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ، إلا أن المحقق أرخ مقدمته في ١٩٥٦م.

٢٦- الزَّبيديّ، السيّد محمد بن إسماعيل المرتضى: «تاج العروس من جواهر القاموس»، تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فرّاج وزملائه، طبعة الكويت، ١٣٨٥ هـ فما بعدها.

٢٧- الزِّرِكْلِيّ، خير الدين بن محمود بن محمد: «الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين»، ط٣، بيروت، ١٣٨٩ هـ.

٢٨- الزمخشريّ، جار الله محمود بن عمر: «أساس البلاغة»، بتحقيق عبد الرحيم محمود، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٩- الزياديّ، حاكم مالك لعيبي: «الترادف في اللغة»، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (٢٢١)، بغداد، ١٩٨٠م.

٣٠- سانو، مصطفى قطب (الدكتور): «معجم مصطلحات أصول الفقه»، دار الفكر المعاصر-بيروت، ودار الفكر-دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

٣١- السيوطيّ، أبو بكر جلال الدين: «المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها»، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٢- ابن سلاّم، أبو عبد الله محمّد بن سلاّم الجُمحيّ: «طبقات فحول الشعراء»، تحقيق الأستاذ محمود محمّد شاكر، دار المدنيّ، جدة.

٣٣- ابن الشَّجَريّ، هبة الله بن عليّ، أبو السعادات العلويّ الحسنيّ: «ما اتفق لفظه واختلف معناه»، حقَّقه وعلّق عليه الأستاذ عطية رزق، سلسلة النشرات الإسلامية (٣٤) لمؤسسها المستشرق هلموت ريتر، مطبوع على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجية بجمهورية ألمانيا الاتحادية، بإشراف المعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة، دار المناهل ببيروت، سنة ١٩٩٢م، ٦٤٩ صفحة.

٣٤- الصالح، صبحي إبراهيم (الدكتور): «دراسات في فقه اللغة»، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٧٣م.

٣٥- الصفّار، فاضل: «قيادة المؤسسات في بنيتها وأهدافها»، مقال منشور في مجلة النبأ، العدد ٥٩، تموز ٢٠٠١م.

٣٦- عبد التواب، رمضان (الدكتور): «بحوث ومقالات في اللغة»، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٢٧٦ ص.

٣٧- عبد التواب، رمضان (الدكتور): «فصول في فقه العربية»، مكتبة الخانجيّ بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط٢، ١٩٨٣م.

٣٨- العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله: «الفروق اللغوية»، علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٩- ابن عربيّ، الشيخ الأكبر مُحيي الدين محمد بن عليّ الطائيّ الأندلسيّ: «الفتوحات المكيّة»، السفر الثالث عشر، تحقيق وتقديم الدكتور عثمان يحيى، وتصدير ومراجعة الدكتور إبراهيم مدكور، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا في السوربون والمنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٨٩٧ صفحة.

٤٠- أبو العلاء المعرّيّ، أحمد بن عبد الله التنوخيّ: «رسالة الغفران»، تحقيق كامل كيلاني، ط٣، القاهرة، بدون تاريخ.

٤١- الفَيروز آباديّ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازيّ: «القاموس المحيط»، مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧ هـ.

٤٢- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس الرزايّ: «معجم مقاييس اللغة»، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

٤٣- كاسيرر، أرنست: «المدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان»، ترجمه إحسان عباس، دار الاندلس، بيروت، ١٩٦١م.

٤٤- اللغويّ، أبو الطيّب عبد الواحد بن علي الحلبيّ: «شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة»، سلسلة ذخائر العرب ٢١، قدّم له وحققه وعلق عليه الأستاذ محمد عبد الجواد، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣، بدون تاريخ، إلا أن المحقق أرخ مقدمته في ١٩٥٥م.

٤٥- المرصفيّ، حسين أحمد: «الوسيلة الأدبيّة إلى العلوم العربية»، مركز تحقيق التراث، مصادر النقد العربيّ الحديث، الجزء الأول، حقّقه وقدّم له الدكتور عبد العزيز الدسوقيّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ٣٨٢ ص.

٤٦- المسعوديّ، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ: «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢، السعادة، القاهرة، ١٩٤٨م.

٤٧- موافي، عثمان (الدكتور): «منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربـي»، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

٤٨- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقيّ: «لسان العرب»، طبعة دار صادر المصورة عن الطبعة الأولى، ١٩٥٥م.

٤٩- النيسابوريّ، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القُشَيريّ: «المسند الصحيح المختصر من السنن» المعروف بـ«صحيح مسلم»، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٣٧٥ هـ.

٥٠- ابن النَّديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق: «الفهرست»، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٥١- الهاشميّ، عليّ بن أبي طالب (الإمام): «نهج البلاغة»، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضيّ بن الحسن الموسويّ الحسينيّ، ضبط نصَّه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور الشيخ صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٩٦٧م.



المؤلف في سطور

▪ فراس بن عبد الرزاق بن محمّد الحَسَن السُّودانـيّ البغداديّ، و«السودانـيّ» نسبة إلى قبيلة «السودان» العراقيّة، بطن من بُطون كِنْدة العربية.

▪ ولد ببغداد، سنة ١٩٧١م.

▪ تخرج في الإعدادية المركزية، أعرق مدرسة ثانوية في العراق، سنة ١٩٨٩م.

▪ درس علوم الهندسة المدنية والعلوم العسكرية في الكلية الهندسية العسكرية العراقية، وتخرج فيها سنة ١٩٩٣م، وكان ترتيبه الأول على دفعته.

▪ حاصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه في الهندسة الإنشائية من الجامعة التكنولوجية ببغداد. وقد نالت رسالته للماجستير تقدير (امتياز)، فيما حصل بأطروحته للدكتوراه على تقدير (امتياز) مع مرتبة الشرف الأولى.

▪ عضو في العديد من الجمعيات، منها: نقابة المهندسين العراقية- جمعية المهندسين العراقية- اتحاد المهندسين العرب- الجمعية الأمريكيّة للمهندسين المدنيين.

▪ حضرَ على العديد من المَشايخ العلماء في علوم القرآن والحديث والأصول والفقه والمنطق والعربية، وله إجازات علمية من بعضهم، أهمّها إجازة في قراءة القرآن العظيم وإقرائه، وأخرى في رواية الحديث الشريف

وتخريجه ونقده من شيخه الشريف الدكتور عداب محمود الحمش، عافاه الله تعالى!

▪ شارك في تأسيس مجلة الأساس البغدادية (٢٠٠٣م) ونشرة دورية بعنوان «أساس الوحدة» (٢٠٠٤م)، وكان «مدير التحرير» فيهما.

▪ له كُتب وبحوث ومقالات سياسية وقانونية وفكرية وأدبية منشورة. هذا سوى البحوث والمقالات والكتب «الهندسية» المُتخصصة المنشورة في مجلاّت علميّة مُحَكَّمة ودور نشر عالمية.

▪ له ديوان شعر وديوان نثر ورسائل، بعضها تحت الطبع.

▪ رسالته الأدبيّة الحفاظ على أصالة الأدب العربيّ، مع قبول الحداثة المنضبطة بالذائقة العربية السليمة.



Treed Odd Vocabulary

This book is the first in the series: «Studies in Arabic Sciences». The title «Treed Odd Vocabulary» may be the best translation of the Arabic name of this book «al-Mushajjar Min Gharīb al-Lughah»we found.

The name al-Mushajjar[1] is an idiomatic expression used by Imam al-Suyūṭī (passed away in 1505 AD) in his presentation for this linguistic art shown in his book «al-Muzhir fi Ulumil Lughati wa Anwa'iha»[2], Chapter 31 which reads «Knowing al-Mushajjar» and it seems that the derivation is created by al-Suyūṭīhimself, and if we go over the books that talk about this art, i.e., al-Mudakhel «Interfered», Shajarud-Dur «Pearl Trees», and al-Musalsal «Serial», we will neither find this derivation nor is it mentioned in the texts of those books except for the naming of Abīṭ-Ṭayyibal-Lughawi in his book on al-Mushajjar «Shajarud-Dur».

The word «al-Mushajjar» has been selected and picked up to be the title of the book for certain reasons, one for its strong

---

(1) Al-Mushajjar is a figure of speech derived from trees shape.

(2) In English is «the Blooming in Language Sciences and Genres».

indication of the meaning, and for the harmony and musical rhymes of the wording, that we cannot find in words like «Mudakhel» and «Musalsal».

Nevertheless, al-Mushajjar is a linguistic art which is found in the fourth century of Hijra, and it is built on linking the words to show the semantic interaction of their meanings by going over the words governed by selection of meanings, for example: when we interpret the word «Ein» literary it means «Eye» in English which indicates in Arabic, beside the original meaning, figuratively the chief of the tribe or the master, injured in his head by a stick or something else, and the head: the chief of the clan or leader or boss.

An analogous example of al-Mushajjar comes in the Holy Quran in al-Noor Surah, which recites: «Allah is the light of heaven and earth. His light is like the niche, that has a lamp, the lamp is in the glass, the glass is like a pearl planet kindled by a blessing olive tree, neither eastern nor western, where its oil is kindled even not touched by a fire, light over light, where Allah leads to His light. Allah gives examples for people, Allah knows everything»(1).

---

(1) See: al-Noor Surah، Verse No. (35).

The best example of al-Mushajjar comes in «Nahj-ul Balāghah»[1] of Imam Alī ibn Abī Ṭālib. He mentioned series of definitions where he says: «I shall relate Islam in a way that has never been described before me.. Islam is acceptance, acceptance is conviction, conviction is belief, belief is affirmation, affirmation is performance, and performance is work»[2], and this is a precious and unique description ever stated in the history of this art. It could be the sparkle that ignited the creativity of the art inventor and hence he weaved his knowledge and imagination through what has been stated above regarding this.

A similar interpretation can be said for Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī (passed away in 1449 AD) in his book «Nuzhat al-Nadhar» where he elaborates: «the ways mean the series of tellers, and the series of tellers is the version of the way leads to the text, and the text is the means where ascription ends…»[3], so compare and contemplate!

Now, may be the subject that I have been working on in al-Mushajjar for some scholars could be considered obsolete and does not convey the spirit of modern times and it could also be out of the

(1) In English is «Road to Eloquence».

(2) Imam Alī, «Nahj-ul Balāghah», Qisar al-Hikam, «Hikma» No. 125.

(3) These definitions are belonging to Prophet Mohammed's sayings which are well-known as «Ḥadīth Nabawi Sharīf».

literary and linguistic trends as al-Mushajjar is a piece of history, or it could be a lecture submitted to candidates at the university, and maybe a candidate or two would handle this subject in their thesis, then their work would reach the shelves of the library and stay there.

Some of al-Mushajjar genres are close to literary arts that aim at entertainment and creativity, let alone the educational function of this art, yet researching in al-Mushajjar involves serious linguistic dimensions that are closely related to the contemporary literary life, and the renewable linguistic needs.

Firstly, the great benefit of al-Mushajjar in contemporary times lies in its richness of vocabularies that are well-documented (on the way of documenting the sayings of Prophet Mohammed), and secondly, its richness with poetic verses (mostly from old citation eras). These characteristics made them a priority among the top references in the hoped Arab Dictionary and it is high time that we overcame and got rid of the shortages of Arab dictionaries in order to distinguish the strong correct patterns of language by assembling the correct linguistic sayings, deduction and conclusion of meaning by citation, tracking the semantic evolution and investigation of linguistic comparisons.

Then, the need to al-Mushajjar seems to be like the need for educational poetry which is considered a refuge for some traditional linguists in the education operation of all kinds in facilitating citation, memorizing and recalling the scientific content.

Regarding the skeleton of the book, it has a preface andfive chapters, as follows:

- **Chapter One:** handles preliminary issues that the Author has chosen to get into the main subjects of the study, such as: the definition of al-Mushajjar, whether it is a science or an art, and the literature review.

- **Chapter Two:** defines al-Mushajjarat[1] and introduces a biography for their authors. The chapter also introduces a sample of each Mushajjar for the sake of performing some statistical studies in Chapter Four.

- **Chapter Three:** studies the skeletons of al-Mushajjarat and the methodology of their authors. Knowing the methodology is essential to facilitate those literary works to the readers.

- **Chapter Four:** handles the relation between al-Mushajjar and the sciences of Arabic language and its arts, since acknowledging the

(1) It is the Arabic plural form of the word al-Mushajjar.

features of any science and its connection with other related sciences would evaluate the position of that particular science among other sciences.

- Finally, **Chapter Five**: gives practical applications on al-Mushajjar from other than its references. The Chapter ends by a practical application on al-Mushajjar by the Author which comes similar to trend of Abīṭ-Ṭayyibal-Lughawi, as he is the best among his counterparts regarding al-Mushajjar, and the Author intended to be concise so that the application would serve its objectives.

Two indexes are attached to the book, the first is a detailed table of contents and the second is a list of references.

Finally, the Author hopes to receive comments and remarks from the readers, if they find his book interesting and feasible. Comments and remarks can be send to:

e-mail addresses: assoodani@yahoo.com – assoodani@gmail.com

Facebook page: https://www.facebook.com/firas.assoodani

The Author

Studies in Arabic Sciences (1)

Treed Odd Vocabulary

« Review, Analysis and Application »

by

Firas A.Mohammed Assoodani

Introduced by

Dr. Adab Mahmood al-Hamsh

EL-BASHEER
for Culture and Sciences